نموذج ترخيص

أنا الطالبة: هالا يوسف ياسين خليل أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

توجيه الفعل الإرادي في القرآن الكريم - الأصول والآثار

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: هالا يوسف ياسين خليل

التوقيع:

التاريخ: ٦ / ١٢ / ٢٠١٥ م

توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم

- الأصول و الآثار –

إعداد
هالا يونس ياسين خليل

المشرف
الدكتور أحمد إسماعيل نوفل

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

تشرين الثاني , 2015م

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ١٤/١٢/٢٠١٥

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم – الأصول و الآثار) و أجيزت بتاريخ ٢٩ /٨/ ٢٠١٥م .

أعضاء لجنة المناقشة	التواقيع
الدكتور أحمد نوفل إسماعيل , مشرفا أستاذ مشارك – التفسير	----------
الدكتور محمد خازر المجالي , عضوا أستاذ – التفسير	----------
الدكتور عبد الله الزيوت , عضوا أستاذ مساعد – التفسير	----------
الدكتور هارون نوح القضاة , عضوا أستاذ مشارك – التفسير (جامعة العلوم الإسلامية العالمية)	----------

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ .....

٢٠١٥/١٢/٦

الإهداء

إلى قرة العيون، وهادي الأرواح، ومعلم البشر، إلى من شرح الله صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، فجعله المعلم الأول للبشرية، النبي الأمي الذي لم يرض له الله أن يعلمه بشر، فعلمه رب البشر سيدنا محمد- ﷺ-.

إلى روح والدي الكريمين- رحمهما الله وغفر لهما- وجعل عملي هذا في ميزان حسناتهما، رافعا لدرجتهما، وأسال الله- ﷻ- بفضله ومنه أو يجعلهما ممن يظلهم بظله يوم لا ظل إلا ظله، وأن يسقيهما شربة هنيئة مريئة من يد الحبيب المصطفي- ﷺ- على نهر الكوثر يوم العطش الأكبر.

إلى اخوتي وأخواتي وأهلي وصديقاتي وكل من له حق علي.

إلى أرواح الشهداء الأبرار من أمتي، إلى الأمهات الثكالى، إلى القادة الربانيين، إلى من جاهد لإظهار الحق، وإعلاء كلمة التوحيد، إلى المخلصين من أبناء هذه الأمة.

إلى كل هؤلاء أهدي بحثي هذا.

شكر وتقدير

الحمد والشكر لمن افتتح كتابه بالحمد فقال- جل ثناؤه-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الفاتحة: 2) ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: 70)

ثم أتقدم في هذا المقام بجزيل الشكر والإمتنان وبخالص التقدير والعرفان لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد إسماعيل نوفل- حفظه الله- الذي شرفت بإشرافه على هذه الرسالة، وقد عهدته عميق الفكر، غزير العلم، واسع المعرفة، ورغم كثرة مشاغله، وضيق وقته، فقد عايش البحث كلمة كلمة، وحرفا حرفا، وسعدت بتوجيهاته القيمة وملاحظاته الدقيقة، فجزاه الله عن طلاب العلم خير ما جزى معلما عن طلابه، وبارك الله فيه، وأمد في عمره باليمن والصحة والعافية والخير والبركة في ظل العمل الصالح.

كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة المشكلة من د.هارون نوح القضاة، ود.محمد خازر المجالي، د.عبد الله الزيوت، على توجيهاتهم القيمة وملاحظاتهم الدقيقة. أساتذتنا ودكاترتنا في الجامعة الأردنية على ما بذلوه لنا من معرفة وعلم، وتوجيه للفكر النير المشرق، الذي ينبذ الغلووالتطرف، ويوجه الفكر الطلابي إلى الوسطية والاعتدال وأخص بالذكر دكتورنا الفاضل الرائع الدكتور جهاد نصيرات بارك لله فيه ونفع لله به الأمة.

كما أتقدم بعظيم الشكر والتقدير إلى أهلي جميعا لإهتمامهم ورعايتهم ودعائهم المتواصل لي وأخص بالذكر أخي وقرة عيني محمد أبو يونس، على مساندته ومساعدته لي لإتمام هذه الرسالة على خير وجه وأجمل صورة، وأسال الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل هذا في ميزان حسناتهم، ويكرمهم بمزيد من فضله بالصحة والعافية والذرية الصالحة والرزق والعمل الصالح.

اللهم آمين.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	**ح**
فهرس الموضوعات	**خ**
الملخص	س
المقدمة	1
التمهيد	9
المبحث الأول: مفهوم عنوان الدراسة	10
المطلب الأول: معنى توجيه الفكر مفردا ومركبا	10
المسألة الأولى : توجيه لغة و اصطلاحا	10
المسألة الثانية : الفكر لغة واصطلاحا	11
المبحث الثاني : الفكر في القرآن الكريم (صيغة و مجالاته)	13
المبحث الثالث : ألفاظ قريبة من معنى الفكر	16
المطلب الأول : التعقل	16
المطلب الثاني : التذكر	17
المطلب الثالث : التدبر	18
المطلب الرابع : الإعتبار	19
المطلب الخامس : النظر	20
المطلب السادس : التبصر	21
المطلب السابع : التفقه	22
المبحث الرابع : بيان عناية القرآن الكريم و إهتمامه بتوجيه الفكر الإنساني	24

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول: أصول توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم	28
المبحث الأول: مبدأ التسخير	29
المطلب الأول: التسخير لغة واصطلاحا	29
المطلب الثاني: التسخير في القرآن (صيغه وآياته)	30
المطلب الثالث: الفكر ومبدأ التسخير	31
المسأله (1): مبدأ التسخير في القرآن الكريم	32
المسأله (2): مقاصد التسخير	32
المطلب الرابع: الإنسان غاية التسخير	35
المبحث الثاني: مبدأ الاستخلاف	38
المطلب الأول: الاستخلاف لغة واصطلاحا	38
المطلب الثاني: الاستخلاف في القرآن الكريم (صيغه وآياته)	39
المطلب الثالث: الفكر ومبدأ الاستخلاف	42
المسأله (1): الخلافة عبودية وسيادة	43
المسأله (2): أطوار الإستخلاف	43
المطلب الرابع: أقسام الإستخلاف	45
المبحث الثالث: النقلة المعرفية	49
المطلب الأول: تعريف المعرفة لغة و اصطلاحا	49
المطلب الثاني: الجمع بين القراءتين	50
المسأله (1): مفهوم الاصطلاح	50
المسأله (2): الأمر بالقراءتين	50
المطلب الثالث: مصادر المعرفة	52
المسأله (1): الوحي	52
تعريف الوحي لغة واصطلاحا	53

الموضوع	الصفحة
المسأله (2): الخصائص التي تميز بها هذا المصدر- الوحي- عن غيره من المصادر	53
المطلب الرابع: العقل	56
المسأله (1): منزلة العقل في القرآن الكريم	57
المسأله (2): آيات العقل في السور المكية	60
المسأله (3): آيات العقل في السور المدنية	62
المبحث الرابع: حرية الاعتقاد	67
المطلب الأول: الحرية	68
المسأله (1): تعريف الحرية لغة واصطلاحا	68
المسأله (2): تعريف العقيدة لغة واصطلاحا	69
المطلب الثاني: الفكر والحرية	70
المسأله (1): مفهوم حرية الفكر	70
المسأله (2): شروط حرية الفكر	71
المسأله (3): آثار حرية الاعتقاد	73
المطلب الثالث: الحرية في القرآن الكريم	75
المسأله (1): ألفاظ بمعنى الحرية في القرآن الكريم	75
المسأله (2): حرية الاعتقاد في القرآن الكريم	76
المطلب الرابع: مبادئ حرية الاعتقاد وضوابطها	84
المطلب الخامس: أبعاد حرية الاعتقاد في الاسلام	87
المبحث الخامس: توحيد الخالق	89
المطلب الأول: كلمة التوحيد معناها وشروطها	90
المطلب الثاني: الفكر وتوحيد الخالق	92
المطلب الثالث: القرآن الكريم كله مقرر لهذا التوحيد	93

الموضوع	الصفحة
المطلب الرابع: خصائص أدلة التوحيد القرآنية	94
المطلب الخامس: أساليب القرآن في توجيه الفكر الإنساني إلى قضية التوحيد	98
المسأله (1): الأساليب البلاغية	99
المسأله (2): أسلوب الاستدلال العلمي	102
المسأله (3): أسلوب القصة	103
المسأله (4): أسلوب الحوار	104
المسأله (5): أسلوب الاستدلال عن طريق الأدلة النفسية (الداخلية)	105
المسأله (6): أسلوب الاستدلال بإقامة الحجة على المنكرين ودحضها	106
المسأله (7): أسلوب التحدي والإعجاز	107
المسأله (8): أسلوب النظر في الأدلة الحسية	108
المسأله (9): أسلوب ضرب المثل	109
الفصل الثاني: آثار توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم	111
المبحث الأول: آثار التوجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم على الفرد	116
المطلب الأول: الأمن النفسي	116
المسأله (1): تعريف الأمن- النفس لغة واصطلاحا	116
مصطلح الأمن ومشتقاته في السياق القرآني	117
المسأله (2): أثر توجيه الفكر في تحقيق الأمن النفسي للفرد	118
المسأله (3): آثر توجيه الفكر في تحقيق الأمن الفكري للفرد	119
المطلب الثاني: أثر توجيه الفكر في الهداية إلى العقيدة الصحيحة على الفرد	121
المطلب الثالث: الهداية إلى الأخلاق الكريمة	123
المسأله (1): تعريف الخلق لغة واصطلاحا	123
المسأله (2): الأخلاق في القرآن الكريم	124
المسأله (3): خصائص الأخلاق في القرآن الكريم	126

الموضوع	الصفحة
المسأله (4): أثر توجيه الفكرفي الهداية إلى الأخلاق الكريمة على الفرد	127
المطلب الرابع: الهداية إلى الأعمال الصالحة	129
المبحث الثاني: آثار توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم على المجتمع	133
المطلب الأول: الأمن في المجتمع	133
المسأله (1): الأمن الإجتماعي.	133
أثر توجيه الفكر على الأمن الإجتماعي	134
المسأله (2): الأمن الإقتصادي	135
أثر توجيه الفكر على تحقيق الأمن الإقتصادي في المجتمع	135
المسأله (3): الأمن السياسي	137
أثر توجيه الفكر على الأمن السياسي في المجتمع	137
المطلب الثاني: أثر توجيه الفكر في الهداية إلى العقيدة الصحيحة على المجتمع	138
المطلب الثالث: أثر توجيه الفكر في الهداية إلى مكارم الأخلاق على المجتمع	140
المطلب الرابع: أثر توجيه الفكر في الهداية إلى العمل الصالح على المجتمع	141
المبحث الثالث: آثار التوجيه القرآني لفكر الإنساني على الأمة	144
المسأله (1): أثر توجيه الفكر في تحقيق الأمن الداخلي في الأمة	144
المسأله (2): أثر توجيه الفكر في تحقيق الأمن الخارجي في الأمة.	145
المطلب الثاني: أثر توجيه الفكر في الهداية الى العقيدة الصحيحة على الأمة	147
المطلب الثالث: أثر توجيه الفكر في الهداية الى الأخلاق الكريمة على الأمة	149
المطلب الرابع: أثر توجيه الفكر في الهداية الى الأعمال الصالحة على الأمة	151
الخاتمة	153
المصادر والمراجع	157

توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم- الأصول والآثار-

إعداد

هالا يونس ياسين خليل

المشرف

الدكتور أحمد اسماعيل نوفل

الملخص

تناول القرآن الكريم في آياته المتعددة موضوع الفكروالعمليات العقلية المختلفة مثل التذكر، والنظر، والتبصر، والإعتبار، والتفقه وغيرها، بطريقة موجة توجيها منضبطا، وقد هدفت هذه الدراسة للتعرف على معنى توجيه الفكر ونظائره ومجالاته من خلال القرآن الكريم. والسؤال الرئيس الذي أجابت عليه الدراسة هو: ما أصول القرآن الكريم في توجيه الفكر الإنساني؟ فقد جاءت هذه الدراسة لتبين أهمية الموضوع وتجليته بشكل متسلسل وعلمي متبعا طريقة التفسير الموضوعي؛ حيث رجعت إلى القرآن الكريم لأستقي منه مفردات قريبة من معنى الفكر، وأضعها في عناوين فرعية متبعا منهج الاستقراء والتحليل. وقد قسمت الدراسة بعد بيان أهميتها، الى تمهيد وفصلين، مبتدئا بالتمهيد الذي تناول تعريف توجيه الفكر، ومجالاته، وذكر الألفاظ القريبة من معنى الفكر، وبيان عناية القرآن الكريم في توجيه الفكر الإنساني، وناقشت في الفصل الأول الأصول التي اعتمدها القرآن الكريم في توجيه الفكر الإنساني بمباحث محددة،فكان التسخير نقطة البداية لهذا التوجيه ثم أعقبه بخلافة الإنسان في الأرض، حتى يخلصه من كل تبعات الجمود والانحصار وأردفه بالنقلة المعرفية التي تعد كالبوصلة التي تحدد الاتجاه الصحيح نحو قبلة السماء، ثم أعطفه بحرية الإعتقاد، ويأتي هذا الأصل كالشامة بين هذه الأصول يشير إلى جمال هذا الدين ورقيه وعلو قامته، ليمهد الطريق إلى تحقيق الراحة النفسية، بحرية الإختيار. ومن ثم توج هذا التوجيه بأصل الأصول وهو توحيد الخالق سبحانه وتعالى. أما الفصل الثاني فكان الحديث يتمحور حول آثار توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم على الفرد والمجتمع والأمة.

لنتبين من خلاله أهمية هذا التوجيه وآثاره العظيمة في استقامة حياة الفرد، وبالتالي تطور المجتمع وريادة الأمة.

وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج الهامة تمثلت في أن القرآن الكريم أولى عناية فائقة في توجيه الفكر الإنساني، وقد بنى هذا التوجيه على أصول راسخة، ثابتة، مستعينا بالإستدلال وإقامة الحجج، والبراهين، اللازمة لتحقيق الهدف الأسمى الذي لأجله جعل الله- ﷻ- هذا الإنسان خليفته في الأرض، قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ **(الذاريات: 56).**

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب، وجعله ﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(غافر: 54)، بدأ لنا به الدين وأتم بسنة رسوله علينا النعمة، وجعل أمتنا خير أمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله شاهدا ومبشرا ونذيرا﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾(الأحزاب: 46).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (فاطر: 3)﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾(الأنعام: 102)

أما بعد:

فإن كتاب الله- ﷻ- فصل قوله، رصين معناه، محكم نسجه، زاخر بعظيم الفوائد هديه بدأ هدايته الفكرية بتوجيه الفكر الإنساني نحوخلقه وخالقه، وقدم أصولا فكرية هي محور التوجيه الفكري لهذا الإنسان، لتصحيح العقيدة من خلال إلفات نظر المتفكرين والمتدبرين إلى عالم الشهادة، بعد أن هز العقول والأفكار وحركها، معتمدا منهج الإستدلال من المحسوسات التي تحيط بالإنسان بالدليل والحجة والبرهان، وقد دعا القرآن الكريم الفكر الإنساني للنظر في الآفاق والنفس، ووجهه إلى إدراك الأسرار الخفية لعالم الغيب عن طريق عالم الشهادة، وذلك بالتفكر والنظر والتدبر والاعتبار والتفقه، لتكون نافذة يطل بها الفكر إلى حقيقة الوجود والحياة والكون. وقد استشهد القرآن الكريم بنماذج حية واقعية في الكون سواء كانت في السموات وما احتوت من أجرام ونجوم وكواكب وسحب، أوفي الأرض وما فيها من بحار وجبال وحيوانات ونباتات وغير ذلك، لتعبئة الأذهان للتفكر والتدبر والنظر والإعتبار، وجعل في﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، وذلك لتحقيق الهدف الرئيس من ذكر هذه العوالم وهوالتوصل إلى توحيد الخالق- سبحانه وتعالى- ببيان آثار قدرته، وعلمه وحكمته وإرادته وعظمته، وصفاته.

ويعد القرآن الكريم التعقل والتفكر والتدبر من أهم مقومات المعرفة والعلم، ومن أهم التكاليف التي تقع على عاتق الإنسان، لذا سخر- الله ﷻ- الكون له، وجعله مستخلفا في الأرض، ليحرره من كل ما يمكن أن يقيد فكره أو يحد منه، وليطوف هذا الفكر في محراب الكون، باحثا عن حقيقته، وأسراره، لذا جعل القرآن الكريم مسألة توحيد الخالق مسألة بحثٍ معرفي، علمي، في ضوء الوحي، العقل والحسّ. ويُؤخذ هذا من حُشود الآيات الكثيرة، في القرآن الكريم الداعية إلى التفكر والنظر والتدبر، ومن يغور في أعماق هذه الآيات الكريمة يجد أن الرسالة الرئيسية لهذا الدين رفع المستوى الإيماني من خلال تقوية وتوسعة بنية الفكر الإنساني، التي تسوق إلى الهدي الرباني بلا إكراه أو قسر أو إجبار.

لذا جاء التوجيه القرآني للفكر الإنساني مبنيا على أصول ثابتة، راسخة رسوخ الجبال، قاعدته مبدأ التسخير ورأس هرمه توحيد الخالق، وهذه الأصول يجتمع فيها وعليها جميع بني البشر مما يدل على أن هذه الدعوة عالمية، لا فرق، فيها بين أبيض وأسود وعربي أعجمي، وهذا من كمال الدين العظيم، وجماله، المحكم غاية الأحكام في توجيهاته، ومقاصده وفي هداياته ودلالاته، كما أن لهذا التوجيه الصحيح المحكم للفكر الإنساني أثر بالغ في إصلاح الفرد والمجتمع والأمة.

وإن المتأمل في واقعنا المعاصر ليرى دون عناء ما يعج به من انحرافات فكرية، وتصورات، وأوهام وخرفات وشبهات، تعرضت لها أمتنا الإسلامية بسبب تدفق الثقافات الغربية، وتعدد المنابع الفكرية المستهدفة التي تعمل ليلا ونهارا لتغريب أبناء هذه الأمة عن أصولها ومنابع فكرها وحضارتها، مما يؤدي إلى اختلاط المفاهيم وتباين التوجهات وتشتت الأفكار ولذا وجب على أبناء هذه الأمة ان تعي ما يدور حولها من مخططات صفراوية رامية إلى كسر جدار الحصانة الفكرية الذي شيده التوجيه القرآني للفكر الإنساني، ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث الذي وفقني الله-ﷻ- لاختياره في وقت تشتد فيه حاجة الأمة والمجتمع والأفراد إلي مثل هذه الأبحاث التي تصوغ أصول توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم وآثاره. لما لهذه المسألة من أهمية بالغة في رسم المسلك القويم الهادي إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، والله الموفق.

ويمكن تحديد الإشكالية التي تقوم عليها الدراسة من خلال الأسئلة الآتية:

1- ما أصول القرآن الكريم في توجيه الفكر الإنساني؟

2- ما الآثار المترتبة على توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم؟

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية هذه الدراسة من خلال النقاط الآتية:

1- علاقة هذه الدراسة بشكل خاص بآي الذكر الحكيم تعطية أهمية بالغة، وخاصة ان هذه الدراسة تبحث في مسألة هامه جدا اعتنى بها القرآن الكريم وحرص على بيانها.

2- إن البحث في مثل هذا الموضوع يجعل الأنسان يصول ويجول في كثير من أنواع العلوم والمعرفة أضافة إلى علم التفسير الموضوعي تارة في كتب العقيدة، وطورا في كتب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مما يجعله متفننا في علوم كثيرة ذات أهمية بالغة ونفع عميم.

3- الحاجة إلى اثبات إن القرآن الكريم في توجيهه الفكر الإنساني أبان عن سر من أسرار الدعوة إلى التوحيد، والحاجة إلى تعريف غير المسلمين بهذا الدين الحنيف.

4- الحاجة إلى بيان الأصول التي اعتمد عليها القرآن الكريم في توجيه الفكر الإنساني له أثر بالغ كوسيلة لتوسيع مدارك المؤمن وزيادة معرفته العلمية، ولكن على أساس إيماني، وليس كما يقدمها لنا الغرب على أساس من الإلحاد. فهم يردون كل شيء للطبيعة، ونحن ينبغي أن نصحح هذه العقيدة فنرد كل شيء لله القائل: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾**(الزمر: 62).**

5- الحاجة إلى معرفة المنهج السليم في التعامل مع نصوص الكتاب الكريم، وفق تصور سليم، ووفق منهج مستقيم.

أهداف الدراسة:

ان هذه الدراسة تهدف الى:

1- استقراء وتحليل الأصول التي اعتمد عليها القرآن الكريم في توجيه الفكر الأنساني.

2- إستنتاج الآثار المترتبة على توجيه القرآن الكريم للفكر الإنساني.

الدراسات السابقة:

موضوع "توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم" حسب علمي واطلاعي لم يبحث به من ناحية الأصول والآثار إلا أنه بحث من جوانب أخرى، وزوايا متعددة، فرأيت سد تلك الثغرة التي تنبهت لها، لأهميتها ودورها الفعال في رسم المسلك الصحيح لتوجيه القرآن الكريم للفكر الإنساني، مما يعكس أثرا طيبا بتصحيح عقيدة المسلم وتصويب مسلكة في الدنيا وبالتالي فوزه برضوان الله-ﷻ- عنه في الآخرة.

وأذكر من الدراسات السابقة على سبيل المثال لا الحصر:

مصطلح التفكير كما جاء في القران الكريم (دراسة موضوعية) للدكتور محمد خازر المجالي، مجلة الشريعة والقانون، عدد 23، بحث علمي محكم، جامعة الامارات.

بحثت هذه الدراسة في مصطلح التفكير كما جاء في القرآن الكريم، ثم عرضت الفرق بين التفكير والمصطلحات التي يظن ترادفها مع التفكر، ثم عرضت الدراسة موضوعات التفكر التي تشير إلى تعظيم الخالق سبحانه من خلال التفكر في آياته العظيمة مثل الكون، النفس، والتفكر في حقيقة أمر الرسول-"- والدنيا زوالها والموت وحقيقة وقوعه، والتفكر في حِكَم بعض التشريعات خاصة المتعلق منها بالنفقة، والتفكر في عاقبة من لم ينفعه علمه، ونكص على عقبيه بعد إذ هداه الله تعالى، والتفكر في عظم القرآن وعظم آثاره.

1- بيان المشترك:

بيان الآيات التي تدعو إلى التفكر بمصطلحات مختلفة في اللفظ قريبة في المعنى.

2- الإضافة بالتحديد:

بيان المصطلح الخاص بكل مصطلح مع الإشارة إلى الفروق بينهما.

منهج القرآن الكريم في صياغة تفكير الانسان، للدكتور زياد خليل الدغامين، مجلة دراسات، المجلد 32، العدد 1، 2005.

ويتلخص موضوع هذه الدراسة بالآتي:

إن القرآن الكريم أثار في الإنسان ملكة التفكر، وسلك في ذلك منهجا صاغ به تفكير الإنسان، ووجهه الوجه السليمة، وذلك بأساليب عديدة، كأسلوب الاستفهام التقريري، والتذكير بالنعم، والقدوة، والإثارة والتشويق، وضرب الأمثال، وقد بين ذلك في المبحث الأول من هذه

الدراسة، وتناول في المبحث الثاني ميادين التفكير وهي كتاب الوحي، السنن الإلهية، وكتاب الكون، والحياة الدنيا، وفي المبحث الثالث ذكر أهداف التفكير ومقاصده.

أما الأبحاث التالية فقد تطرقت لهذا الموضوع من زوايا مختلفة تتضمن الأساليب التي عرضها القرآن الكريم لتنمية الفكر مثل القصة القرآنية والمثل وغيرها وكذلك وميادين الفكر مثل التفكر في كتاب الكون والنفس وغير ذلك بالإضافة إلى المنهج الرصين الذي تتبعه القرآن الكريم في تنمية العقل البشري، وتقدير الشرع للعقل وجعله مناط التفكير.

1- بيان المشترك:

التدبر والنظر في الآيات الكونية.

2- الإضافة بالتحديد:

أن تسخير الكون للإنسان أصل من أصول توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم.

أساليب القرآن الكريم في تنمية الفكر"سورة الشورى نموذجا"، شوكت محمد العمري، مجلة الشريعة، عدد 52 بحث علمي محكم.

يتلخص موضوع هذه الدراسة بالآتي:

سورة الشورى إحدى النماذج المتعددة في القرآن الكريم التي حلت المشكلة الإيمانية عن طريق لفت الانتباه إلى جميع أنماط التفكير وأنواعه سواء ما يسمى بالتفكير المنطقي- وما يستتبعه من تفكير استدلالي بشقيه الاستقرائي أوالاستنباطي- أوتفكير تحليلي منتظم متسلسل الخطوات يبدأ بإثارة مشكلة ثم يقدم الملاحظات المتعددة من أجل فهم المشكلة وتحليلها ثم وضع الفرضيات المتعددة ثم التحقق من الفرضية والبرهنة عليها ثم الوصول إلى النتائج والقوانين والقواعد العامة. نظرياً باستعمال التفكير التأملي الناقد وعملياً بعرض نموذج المسلم الذي قاده فكره التأملي إلى الإيمان بالله تعالى، وذلك من خلال التأمل بالكون وغير ذلك مما يدل على وجود الخالق.

1- بيان المشترك:

أثر آيات التفكر والتدبر في توجيه الفكر الإنساني إلى التوحيد.

2- الإضافة بالتحديد:

عرض نماذج مختلفة من آيات القرآن الكريم وعدم قصر الدراسة على سورة محددة.

التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، عبد الوهاب محمود ابراهيم حنايشة، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2009م.

يتلخص موضوع هذه الدراسة:

بيان علاقة التفكير بالعمليات العقلية الأخرى وإبراز شمولية التفكير لمجالات الحياة المختلفة. وبيان طريقة القرآن في معالجة العقبات التي تعترض التفكير، ومن ثم التوصل إلى مجموعة من الأساليب والطرق والمناهج المنمية للتفكير في القرآن وإبرازها في صورة تأصيلية.

1- بيان المشترك:

الإشارة الى أساليب القرآن في تنمية التفكير.

2- الإضافة الجديدة:

بيان الأصول التي اعتمدها القرآن الكريم في توجيه الفكر الإنساني وآثاره على الفرد والمجتمع والأمة

جوانب الفكر والتفكر في القرآن الكريم، محمود محمد عواد الهيشان، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1996.

يتلخص موضوع هذه الدراسة بالآتي:

بيان مفهوم العقل والتفكير لغة واصطلاحا، ثم العروج على وسائل التفكير، ثم أقسام الحواس، ونظرة القرآن إلى الحواس، ومن ثم اللغة وعلاقتها بالتفكير، وبين أثر القرآن الكريم في تحرير التفكير، واستخلص عددا من القواعد المنهجية في تنمية الفكر، وختم البحث بعرض توجيهات القرآن الكريم في تنمية التفكير.

1- بيان المشترك:

الإشارة إلى أثر القرآن الكريم في تحرير التفكير.

2- الإضافة بالتحديد:

بيان الأصول التي اعتمدها القرآن الكريم في توجيه الفكر الإنساني.

منهج البحث:

من خلال هذه الرسالة سأتناول موضوع الفكر الإنساني من منظور قرآني وأبين كيف وجه القرآن الكريم الفكر الإنساني بطريقة منضبطة، واضحة، وكذلك طريقة العرض لهذا الموضوع في القرآن الكريم التي تميزت بالتوافق والتناغم مع النفس، والروح، والفكر ليحقق فيها التوازن والإستقرار وذلك من خلال المنهج العلمي القائم على:

1- المنهج الإستقرائي: إستقراء آيات الكتاب العزيز التي تناولت التفكر، والتدبر، والنظر،.... وغير ذلك من المصطلحات التي تدعو إلى التفكر.

2- المنهج التحليلي: الأصول التي اعتمدها القرآن الكريم في توجيه الفكر الإنساني.

3- المنهج الإستنتاجي: استنتاج الآثار المترتبة على توجيه القرآن الكريم للفكر الإنساني على مستوى الفرد والمجتمع، والعالم.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة بالنتائج والتوصيات.

التمهيد ويشمل:

أولاً: توضيح مفهوم عنوان الدراسة.

1- بيان معنى توجيه الفكر الإنساني.

2- مفهوم الفكر لغة واصطلاحا.

ثانياً: بيان ألفاظ قريبة من معنى الفكر.

ثالثا: بيان عناية القرآن الكريم في توجيه الفكر الإنساني.

الفصل الأول: أصول المنهج القرآني في توجيه الفكر الأنساني.

المبحث الأول: مبدأ التسخير.

المبحث الثاني: مبدأ الإستخلاف.

المبحث الثالث: النقلة المعرفية.

المبحث الرابع: حرية الإعتقاد.

المبحث الخامس: وحدانية الخالق.

الفصل الثاني: الآثار المترتبة على منهجية القرآن الكريم في توجيه الفكر الإنساني.

المبحث الأول: أثار توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم على الفرد.

المبحث الثاني: أثار توجيه الفكرالإنساني في القرآن الكريم على المجتمع.

المبحث الثالث: أثار توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم على الأمة.

الخاتمة وتشمل: *

نتائج وتوصيات *

الفهارس *

التمهيد

المبحث الأول: مفهوم عنوان الدراسة:

المطلب الأول: معنى توجيه الفكر مفردا ومركبا.

- توجيه لغة واصطلاحا.
- الفكر لغة واصطلاحا.
- توجيه الفكر.

المبحث الثاني: ألفاظ قريبة من معنى الفكر.

المبحث الثالث: بيان عناية القرآن الكريم واهتمامه بتوجيه الفكر الإنساني.

المبحث الأول

مفهوم عنوان الدراسة

المطلب الأول- معنى توجيه الفكر مفردا ومركبا.

المسألة (1) توجيه لغة واصطلاحا:

لقد حرص القرآن الكريم على التوجيه الفكري للإنسان توجيها يسعى إلى رقيه في جميع جوانبه الروحية والفكرية والخلقية والإجتماعية والعالمية، فنقله من الفوضى إلى النظام ومن الخرافة إلى الحقيقة، ومن الصراع إلى الإنسجام ومن الوحشة إلى الألفة والراحة، وهذب سلوكه وصحح معتقداته عن الله سبحانه وتعالى وعن الإنسان، والكون، والحياة، فحقق له بذلك الأمن النفسي، والفكري على حد سواء.

أ) التوجيه في اللغة:

جاء في لسان العرب: "يقال شيء موجه إذا جعل على جهة واحدة لا يختلف.. ويقال: خرج القوم فوجهوا للناس الطريق توجيهاً، إذا وطئوه وسلكوه حتى استبان أثر الطريق لمن يسلكه"[1]

ب) التوجيه في الإصطلاح:

* عرف يالجن التوجيه بأنه: "مجموعة من الإرشادات التي تتعلق بمقاصد تحصيل العلوم وبطرق دراستها ووجوه استخدامها في ضوء التربية الإسلامية."[2]

* وعرفته ا. د. سهير كامل "هوعملية توجيه وارشاد الفرد لفهم امكاناته وقدراته واستعداداته،

---

[1]: ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت (711)هـ، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ج13، ص: 558

[2]: يالجن، مقداد محمد علي، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، دار عالم الكتب، الرياض، 1425هـ، ص : 94.

واستخدامها في حل مشكلاته، وتحديد أهدافه ووضع خطط حياته المستقبلية من خلال فهمه لواقعه وحاضره، ومساعدته في تحقيق أكبر قدر ممكن من السعادة والكفاية، من خلال تحقيق ذاته والوصول إلى أقصى درجة من التوافق بشقيه الشخصي والإجتماعي".[1].

المسألة (2) الفكر لغة واصطلاحا.

الفكر لغة:

*وجاء في كتاب العين: الفكر اسم التفكر، فكر في أمره وتفكر، ورجل فكير أي كثير التفكر، والفكرة والفكر واحد [2].

* وجاء في مقاييس اللغة: الفاء والكاف والراء تردد القلب في شئ، يقال: تفكر إذا ردد القلب معتبراً[3].

* جاء في لسان العرب الفكر بقوله: الفكر، والفكرة: أعمال الخاطر في الشيء، والتفكر اسم التفكير، ومنهم من يقول الفكر والفكرة والفكري على فعلى اسم [4].

* جاء في مختار الصحاح: "ف ك ر: (التفكر) التأمل، و(أفكر) في الشئ و(فكر) فيه بالتشديد و(تفكر) فيه بمعنى. ورجل (فكير) بوزن سكيت كثير التفكر"[5].

الفكر اصطلاحا:

* عرفه أبو حامد الغزالي في إحياءه: "اعلم أن معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة [6].

---

[1] أحمد، ا.د. سهير كامل، التوجيه والإرشاد النفسي مركز الاسكندرية للكتب، الاسكندرية- مصر، 2000م، ص7.

[2]: الفراهيد ت (175)هـ، كتاب العين، دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط: 1، 2001، ص: 751.

[3]: بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص: 246.

[4]: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ج5، ص: 65.

[5]: زين الدين محمد الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص: 242.

[6]: إحياء علوم الدين، الغزالي، ج4، ص: 425.

* وعرفه محمد حسن جبل في معجمه: " ترتيب المعاني الذهنية (الجزئية) وتقليبها للوصول إلى ما تؤدي إليه"[1].

بالنظر لهذه التعريفات، وغير ذلك مما تركناه تفاديا للتطويل، يلحظ الآتي:

أ- الفكر بمعنى إعمال النظر، والتدبر، والإدراك، والتأمل في مجموعة من الظواهر والمعطيات والحقائق بهدف الوصول إلى حقيقة جديدة.

ب- الفكر بمعنى الثمرة التي تنتج عن عملية التفكير في معاني الأشياء.

ج- إن الفكر عملية إعمال الطاقات العقلية والذهنية للوصول إلى ما تؤدي إليه.

وبالتالي يمكن تعريف الفكر تعريفا اصطلاحا جديدا كالآتي:

الفكر: أعمال العقل السليم في الشواهد، واجتهاده بالنظر إلى القضايا الكونية من الكتاب المنظور للوصول إلى اليقين بما في الكتاب المسطور.

المسألة (3) توجيه الفكر.

عرفه أرنولد ونيكول: "هو أداة صناعية لحسن توجيه عقلنا عند معرفة الأشياء، سواء تعلق الأمر بتعليمه لأنفسنا أو بتعليمه للآخرين، و تقوم هذه الأداة الصناعية في النظر والتأمل الذي مارسه الإنسان، حين جرد العمليات الأربعة للفكر وهي التصور والحكم والإستدلال والترتيب"[2] (1).

ومن خلال ما تم ذكره من تعريفات لغوية واصطلاحية لمفهوم التوجيه والفكر يمكن تعريف توجيه الفكر بأنه: عملية إرشاد وتوجيه الطاقات العقلية والذهنية للوصول إلى الحقيقة.

---

[1]: المعجم الإشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، مج: 3، ص: 1745. مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012م.

[2]: أرنولد، أنطوان، ونيكول، بيير، المنطق أو فن توجيه الفكر، ترجمة: قنيني، عبد القادر، ط1، 2007م، المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء- المغرب، ص: 31.

المبحث الثاني

الفكر في القرآن الكريم (صيغه ومجالاته)

اهتم القرآن الكريم بقضية التفكر بشكل كبير جدا يلحظ هذا في دعوته الملحة لهذه القضية بعدة أساليب وفي كل المجالات فيما عدا التفكر في ذات الله-ﷻ-، اذ التفكر في ذاته سبحانه كالعبث في الظلام لا يهتدي صاحبه لشيء، لأنه سبحانه﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾**(الشورى: 11)**.

تكررت مادة (فكر) في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة، وبعدة صيغ، جاءت بصيغة الفعل الماضي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾.

وجاءت بصيغ الفعل المضارع في بقية المواضع: تتفكرون، يتفكرون، تتفكروا، يتفكروا[1].

بإستقراء الآيات التي ورد فيها هذه الصيغ نلاحظ ما يأتي:

1- جاءت الدعوة إلى التفكر في القرآن الكريم:

﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾**(النحل: 44)**.

2- جاءت الدعوة إلى التفكير في حال النبي ﷺ:

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾**(الأعراف: 184)**.

---

[1]: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، 1945، ص: 525.

"وأما ثمرة التفكر: فهي العلوم والأحوال والأعمال، ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير" إحياء علوم الدين، الغزالي، ج4، ص: 427.

3- جاءت الدعوة إلى التفكر في آيات الله الكونية في عدة مواضع منها:

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾(البقرة: 266).

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس: 24).

4- التفكر في الأنفس:

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾(الروم: 8).

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الروم: 21).

5- التفكر في الأمم الغابرة:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الاعراف: 176).

6- التفكر في الأمثال:

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الحشر: 21).

7- التفكر في الأحكام الشرعية التي فرضها الله- ﷻ -:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: 219).

المبحث الثالث

ألفاظ قريبة من معنى الفكر

المطلب الأول - التعقل

العقل في اللغة:

عرفه صاحب لسان العرب بقوله: "العَقْل: الحِجْرُ والنُّهْى ضِدُّ الحُمق والجمع عقول،... وقيل رجل عاقل، أي جامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير اذ جمعت قوائمه، والعاقل هو الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها [1].

العقل في الاصطلاح:

عرفه صاحب المفردات بقوله: العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل [2].

عرفه الجرجاني: العقل: ما يعقل به حقائق الأشياء. مأخوذ من عقال البعير، ويمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل، والصحيح أنه جوهر مجرد يدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة [3].

قد ورد بصيغ هي: تعقلون، ويعقلون، وعقلوه، ونعقل، على النحوالآتي:

قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 75).

---

[1]: ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص: 458.

[2]: الأصفهاني، الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، 1972م، ص: 354.

[3]: الجرجاني، التعريفات، ص: 152.

قـــــــال تعـــــــالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ **(البقرة: 44)**، ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾**(البقرة: 171)**.

قال تعالى: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ **(الملك: 10)**.

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ **(العنكبوت: 43)**.

المطلب الثاني- التذكر:

عرفه صاحب القاموس المحيط بقوله: الذِّكْرُ بالكَسْر: الحِفْظُ للشَّيْءِ، كالتَّذْكار والذِّكْر الشَّيْءُ يَجْرِي على اللِّسَان... والتذكرة: ما يستذكر به الحاجة، والاستذكار الدراسة والحفظ[1].

وعرفه صاحب المُفْردات: الذِّكْر تارةً يُرَادُ به هَيْئَةٌ لِلنَفْس بها يُمْكِن الإنْسَانَ أن يَحْفظَ ما يَقْتَنِيه من المَعْرفة وهو كالحِفْظ إلاّ أن الحِفْظ يقال اعْتباراً بإحَرازه والذِّكْر يُقال اعْتِبَاراً باسْتِحْضَاره وتارةً يقال لحُضُور الشَّيْءِ القَلْب أوالقَوْل، لذا قيل الذكر ذكران ذكر بالقلب وذكر باللسان، وكل منهما ضربان، ذكر عن النسيان، وذكر عن لا نسيان بل عن إدامة الحفظ[2]

التذكر في اللغة:

التذكر وظيفة إدراكية لتحصيل المعرفة، ولكن التذكر يكون باسترجاع المعاني سواء منها[3]:

- التذكر للمعاني الفطرية، أوالمعلومات السابقة التي تقر بها الفطر جميعاً، ويتناساها الناس في غمرة التحدي والإعراض والانحراف.
- أو التذكر للمعاني من خلال النظر في الآيات الكونية، والسنن الإجتماعية، والآيات القرآنية،

---

[1]: الفيروز أبادي، محمد بن العقرب الفيروز (817)هـ، القاموس المحيط، تحقيق: عبد الخالق، السيد عبد الخالق، مكتبة الإيمان، المنصورة- مصر، 2009م، ص: 342– 343.

[2]: الأصفهاني، المفردات، ص: 181.

[3]: الكردي، راجح عبد الحميد، نظرية المعرفة بين القرءان والفلسفة، أصل المعرفة وطرقها وأنواعها، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية ومكتبة المؤيد بالرياض، الطبعة الأولى، 1412هـ-1992م، ص: 640.

أو من النظر بإسترجاع المعاني، وأخذ العبرة من مصارع الغابرين وقصص الماضيين، فهو نشاط إدراكي ما بعد التفكر والتدبر، ولا يكون إلا للخلص وأولي العقول الزاكية.

باستقراء آيات القرآن يتبين أن التذكر ورد بصيغ عدة منها:

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(هود: 24).

قال تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(النور: 1)، ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(الزُّمر: 27).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾(الفرقان: 50)، ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾(الأنعام: 126).

قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات: 49)

المطلب الثالث - التدبر:

التدبر في اللغة: جاء في القاموس المحيط: التدبر النظر في عاقبة الأمور[1]. وجاء في مقاييس اللغة: الدال والباء والراء. أصل هذا الباب أنَّ جُلّه في قياسٍ واحد، وهوآخِر الشَّيء، والتدبير: أن يدبر الإنسان أمره، وذلك أنه ينظر إلى ما تصير عاقبته وآخرة[2].

التدبر في الاصطلاح: قال الجرجاني في تعريف التدبر: "عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهوقريب من التفكر، إلا أن التفكرَ تصرفُ القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب"[3].

---

[1]: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص: 337

[2]: القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا (355)هـ. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون. اتحاد الكتاب العرب، 1423هـ، ص: 355.

[3]: الأصفهاني، التعريفات، ص: 60

ومن الآيات التي ذكر فيها التدبر بتصاريف مختلفة:

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾**(النساء: 82).**

قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾**(ص: 29).**

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾**(محمد: 24).**

المطلب الرابع- الإعتبار:

الإعتبار في اللغة:

قال صاحب لسان العرب: والعِبْرَةُ العَجَب، واعتبر منه تعجب، وفي التنزيل ﴿**فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ** ﴾**(الحشر: 2)**[4]. أي تدبروا وانظروا... العبر جمع عبرة وهي كالموعظة يتعظ به الإنسان، ويعمل به ويعتبر ليستدل به على غيره، والعبرة: الاعتبار بمن مضى[1].

الإعتبار في الاصطلاح:

عرفه صاحب المفردات بقوله: تجاوز من حال إلى حال، فأما العبور فيختص بتجاوز الماء... والاعتبار والعبرة: بالحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد. قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً** ﴾**(آل عمران: 13)**، ﴿**فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ** ﴾**(الحشر: 2)**[2].

ومن الآيات التي حثت على الآعتبار:

---

[1]: ابن منظور، لسان العرب ج4، ص: 531.

[2]: الأصفهاني، المفردات، ص: 331.

الاعتبار والتذكر والنظر، كلمات مختلفة في اللفظ والمعنى وإن كان أصل المسمى واحد، فلاعتبار يتطلب إحضار معرفتين ليتم التوصل من خلالهما الى معرفة ثالثة وكذلك النظر فمن لا يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا، والتفكر أيضا فيه طلب معرفة ثالثة، لذا فإن كل متفكر متذكر وليس كل متذكر متفكر. الغزالي ت (505هـ)، إحياء علوم الدين، ج 4، ص: 426 بتصرف

قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾(آل عمران: 13).

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: 111).

قال تعالى: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾(النور: 44).

المطلب الخامس- النظر:

النظر في اللغة:

وعرفه صاحب مختار الصحاح: النَّظَرُ والنَّظَرَانُ بفتحتين تأمل الشيء بالعين وقد نَظَر إلى الشيء والنَّظَرُ أيضا الانْتِظَارُ يقال منهما نَظَرهُ يَنْظُرهُ بالضم نَظَراً والنَّاظِرُ في المُقلة السَّواد الأصغر الذي فيه إنسان العين ويقال للعين النَّاظِرةُ والنَّاظِرُ الحافِظ والنَّظِرَةُ بكسر الظاء التأخير وأنْظَرَهُ أخرَّه واسْتَنْظَرَهُ استمهله وتَنَظَّرَهُ تَنَظُّرا انْتَظَرَهُ في مُهلة وناظَرَهُ من المُنَاظَرَةِ والمَنْظَرَةُ بوزن المتربة المرقبة[1].

النظر في الاصطلاح:

عرفه صاحب المفردات بقوله: نظر: النظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الروية. يقال: نظرت فلم تنظر. أي: لم تتأمل ولم تتروا، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾(يونس: 101) أي: تأملوا[2].

ومن الآيات التي حثت على النظر:

---

[1]: الرازي، زين الدين محمد. مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت. 1989م ص: 302.

[2]: الأصفهاني، المفردات، ص: 518- 519.

قـــــال تعـــــالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ **(آل عمران: 137).**

قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ **(الأنعام: 11).**

قـــــال تعـــــالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ **(يونس: 101).**

المطلب السادس- التبصر:

البصر في اللغة:

عرفه صاحب مختار الصحاح: البَصَرُ حاسة الرؤية وأبصره رآه والبَصِير ضد الضرير وبَصُرَ به أي علم وبابه ظرف وبصرا أيضا فهو بَصيرٌ ومنه قوله تعالى: ﴿ **بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ** ﴾والتَّبصُّرُ التأمل والتعرف والتبصِير التعريف والإيضاح والمُبْصِرةُ المضيئة ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ [1].

البصر في الاصطلاح:

جاء في المفردات: البصر يقال للجارحة الناظرة، نحوقول"كلمح البصر"للقوة التي فيها، ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة، وبصر نحوقوله "فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد"، وجمع البصيرة بصائر[2].

ومن الآيات لتي حثت على التبصر وبصيغ مختلفة:

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ **(ق: 6- 8).**

---

[1]: الرازي، مختار الصحاح، ص: 46.

[2]: الأصفهاني، المفردات، ص: 46.

وفي قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ﴾**(الأنعام: 104)**.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾**(آل عمران: 13)**.

قال تعالى: ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾**(الحشر: 2)**.

المطلب السابع- التفقه:

ا) الفقه في اللغة:

عرفه **صاحب لسان العرب بقوله:** الفِقْهُ العلم بالشيء والفهمُ له وغلبَ على عِلْم الدين لسِيادَتِه وشرفه وفَضْلِه على سائر أنواع العلم كما غلب النجمُ على الثُّرَيَّا والعود على المندل، والفِقْهُ في الأصل الفَهْم يقال أُوتِيَ فلانٌ فِقْهاً في الدين أي فَهْماً فيه قال الله ﷻ لِيَتَفَقَّهوا- في الدين أي ليَكونوا عُلَماء به وفَقَّهَه اللهُ ودعا النبي ﷺ لابن عباس فقال اللهم عَلِّمْه الدِّينَ وفَقِّهْه في التأويل أي فَهِّمْه تأويلَه ومعناه [1].

عرفه صاحب مختار الصحاح بقوله: الفِقْهُ الفهم وقد فَقِهَ الرجل بالكسر فِقْهاً وفلان لا يفقه ولا ينقه وأفْقَهْتُهُ الشيء هذا أصله ثم خص به علم الريعة والعالم به فَقِيهٌ وقد فَقُهَهُ الله تفقِيهاً وتَفَقَّهَهَ إذا تعاطى ذلك وفاقَهَهُ باحثه في العلم [2].

الفقه في الاصطلاح:

عرفه صاحب المفردات بقوله: "فقه: الفقه هوالتوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهوأخص من العلم. قال تعالى: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ **(النساء: 78)**، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾**(المنافقون: 7)**، إلى غير ذلك من الآيات، والفقه: العلم بأحكام الشريعة،

---

[1]: الرازي، مختار الصحاح، ص: 237.

[2]: ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص: 522.

يقال: فقه الرجل فقاهة: إذا صار فقيها، وفقه أي: فهم فقها، وفقهه أي: فهمه، وتفقه: إذا طلبه فتخصص به. قال تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ **(التوبة: 122)**[1].

ومن الآيات التي جاءت تحث على التفقه:

قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ **(النساء: 78)**.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ **(الانعام: 25)**.

---

[1]: الأصفهاني، المفردات، ص: 385.

المبحث الرابع

توجيه الفكر الإنساني

المطلب الأول - بيان عناية القرآن الكريم واهتمامه بتوجيه الفكر الإنساني:

اعتنى القرآن الكريم بتوجيه الفكر الإنساني عناية فائقة ويلحظ ذلك في أبعاد الآيات القرآنية، اذ لو استقرأنا الآيات القرآنية نلاحظ أنه أولى التوجيه الفكري اهتماما بالغا، منذ أول كلمة نزلت على الأرض من الوحي ألا وهي كلمة أقرأ، لما تحمل هذه الكلمة القرآنية الأولى من أسرار عظيمة في أغوارها هزة العقل البشري هزة عنيفة، لتقذفه من كهف مظلم، بالجهل والتخلف إلى نور الحق والعلم، والمعرفة، ومهد القرآن الكريم للفكر الإنساني البيئة الفكرية الموجهة واعتبرها حجر الأساس الذي يبنى عليه صرح الإسلام الشامخ، لأننا لن نكون قادرين على رفع راية التوحيد فوق هذا الصرح ما لم توجد بيئة فكرية صالحة.

ان استعراض الآيات القرآنية وفي مختلف السور الكريمة ولا سيما تلك الآيات التي نزلت في صدر البعثة، التي جاءت تستفز العقول البشرية، وتستحثها للتفكر، والنظر، والتدبر، لمؤشر واضح وصريح على استفزاز الفكر الإنساني، وايقاظه من السبات العميق الذي غرق فيه دهورا طويلة، حتى جاء نور الحق واليقين ليحرره من قيود التقليد الأعمى الموروث.

أن الطرح القرآني ومنذ الوهلة الأولى كشف الحقيقة التي حيرت كثيرا من العقول التي تاهت في بحر الظلمات، تحاول جاهدة أن تقتبس منه نورا يشعل فتيل الفكر عندهم، إلا أن كل محاولاتها هذه باءت بالفشل الذريع، حتى من الله- عزوجل- على عباده بهذا الذكر الحكيم، الذي أنار العقول وروى الأنفس الظمأى، بتلك الآيات الكريمة التي وجهت الفكر الإنساني نحو الخلق، وعلاقة هذا المخلوق البشري بالكون بما فيه من مخلوقات مسخرة له، سواء كانت السماء وما فيها من كواكب، ونجوم، وأجرام، والشهب وغير ذلك، والأرض وما فيها من جبال، وبحار، وأنهار، وأشجار، وثمار، وحيوانات، وغير ذلك.

مثال ذلك يتضح في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ

لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(آل عمران: 190- 191).

تعرج هذه الآيات لتوجيه الفكر إلى خالق هذه المخلوقات، وإلى مبدع هذا العالم الجميل، بكل ما فيه من مكنونات ظاهرة وباطنة، وتساهم في صياغة الأفكار والمفاهيم التي من شأنها ان تجدف بهذا الإنسان إلى بر الأمان، ولا تكتفي الآيات إلى هذا الحد فقط بل تعرج إلى كشف النقاب عن العوالم الغيبية التي لا يستطيع الفكر الإنساني مهما بذل من جهد للوصول إليها، مثل عالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم البرزخ، والجنة والنار.

كما أن الطرح القرآني بهذه الصورة ينبه السامع ويجعله يطمح إلى مشاهدة المزيد من الظواهر الكونية، ويجعله يمعن النظر ويجهد الفكر للوصول إلى المزيد من الحقائق الخفية، وهذا يحقق المقصود الأسمى لهذه الآيات القرآنية للوصول إلى ما ترنو إليه من تعميق الإيمان وترسيخه في نفوس العباد، حيث أن العلاقة بين الفكر الإنساني الموجه توجيها ربانيا وقضية الإيمان علاقة طردية. لذا نلاحظ أن القرآن الكريم يوظف شتى الأدوات للوصول إلى تلك الأهداف المثلى، واعتبر توجيه الفكر الإنساني مفتاح الدخول إلى أبواب واسعة من العلوم والمعارف، فهو يخاطب العقل، والفؤاد ويفتح أمام الفكر الإنساني أفاقا رحبه، تيسر له المسير على المنهج الصحيح في الحياة الدنيا، وصولا فيه إلى الآخرة ليتنعم بما أعده الله له من نعيم مقيم وفوز عظيم.

ومن الأمثلة الدالة على عناية القرآن الكريم بتوجيه الفكر الإنساني نذكر:

أنّ القرآن الكريم ربط الفكر بالإيمان باليوم الآخر، فالفكر بدون إيمان باليوم الآخر كغرس بلا ثمر، وذلك لأن المقياس الصحيح لعقيدة المسلم تتجلى في إيمانه باليوم الآخر، لما يترتب على هذا الأمر من اتباع للمنهج الصحيح والتزام الصراط المستقيم الذي يعبرعليه المسلم إلى الدار الآخرة، والفصل بينهما يؤدي إلى ما لا يحمد عقباه.. يقول سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ (الروم: 8).

ويقول الإمام الألوسي – رحمه الله - في تفسير هذه الآية: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ﴾إنكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة، والواوللعطف على مقدر

يقتضيه المقام، وقوله سبحانه: ﴿ فِيٓ أَنفُسِهِم ﴾ظرف للتفكر، وذكره مع أن التفكر لا يكون إلا في النفس لتحقيق أمره وزيادة تصوير حال المتفكرين كما في إعتقده في قلبك وأبصره بعينك، وقوله ﷻ: ﴿ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾أي أعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط أوأقصروا النظر على ذلك ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا أنه تعالى ما خلق السماوات والأرض وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء من الأشياء إلا ملتبسة بالحق أو يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه إثر ما علموه،... [1].

كما أن القرآن الكريم ربط الفكر بذكر الله- ﷻ- في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ **(آل عمران: 191)**.

والأمثلة في هذا المجال كثيرة والحمد لله وأكتفي بذكر هاذين المثالين.

وعليه فإنّ التوجيه القرآني للفكر الإنساني له فضل كبير على مناهج التربية التي تسعى لبناء شخصية الإنسان، بناءا سليما، وبدون هذا التوجيه يغدوالانسان كإبرة مغناطيس تتأرجح بين الشمال والجنوب، وعليه فهوبحاجةٍ ماسة إلى الالتزام بهذا المنهج القويم، الذي يمنحه قوة تمكنه من ممارسة حياته الطبيعية كما أرادها الله- ﷻ- له دون أي عائق فكري أو روحي أو جسدي، وتمنحه اتجاهاً أخلاقياً يحقق إنسانيته، وهذا عمل لا يتمكن منه الفكر بمعزل عن التوجيه القرآني.

---

[1]: الألوسي، محمود (ت 1270هـ)، تفسير روح المعاني، تحقيق العرب، محمد حسين، دار الفكر، 1994، ج: 12، ص: 34- 35.

الفصل الأول

أصول توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم

أصول توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم

جاء في مقاييس اللغة: الأصول جمع أصل ويراد به أساس الشيء الذي يقوم عليه، ومنشؤه الذي ينبت منه، وقاعدته، وأصول العلوم قواعدها التي تبنى عليها الأحكام والنسبة إليها أصولي[1].

جاءَ في كتاب العين: الأصلُ: استأصلت هذه الشجرة أي ثبت أصلها، وفلان أصيل الرأي، قد أصل رأيه،... والأصل: أسفلُ كل شيء [2].

وفي المفردات: أصل كل شيء قاعدته التي تُوهِّمَت مرتفعةً ارتفعَ بارتفاعها سائرهُ [3].

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ **(ابراهيم: 24)**.

وأشار ابن عاشور في تفسير هذه الآية الكريمة إلى أن الله –ﷻ -ضرب مثلاً لكلمة الإيمان وكلمة الشرك. فقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾فيها إيقاظ للذهن ليترقب ما يرد بعد هذا الكلام، والكلمة الطيبة قيل: هي كلمة الإسلام، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والكلمة الخبيثة: كلمة الشرك والفَرع: ما امتد من الشيء وعَلا، مشتق من الافتراع وهوالاعتلاء. وفرع الشجرة غصنها، وأصل الشجرة: جذرها. ومن هنا يتضح لنا أن أصل الشيء أساسه، فالشجرة أصلها جذورها، وما علا فوق هذه الجذور من أغصان وأوراق وثمار ما كان أن يكون لولا هذه الجذور التي تعتبر كالقاعدة التي يبنى عليها الشيء [4].

ومن هنا جاء البحث في هذا الفصل عن الأصول التي بنى عليها القرآن الكريم توجيهه للفكر الإنساني .

---

[1]: ابن فارس، مقاييس اللغة، ص: 62.

[2]: الفراهيد، كتاب العين، ص: 29.

[3]: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: 28.

[4]: ينظر ابن عاشور، محمد بن محمد الطاهر ، التحرير والتنوير، ج: 13، ص: 223.، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997.

المبحث الأول

مبدأ التسخير

المطلب الأول : التسخير لغة واصطلاحا:

أ) التسخير في اللغة:

جاء في لسان العرب: سخرته بمعنى قهرته، وسخرت السفينة: أي أطاعت وجرت وطاب لها السير، والتسخير: التذليل... وكل ما ذل وانقاد أوتهيأ لك كما تريد فقد سخر لك [1].

وجاء في العين: سخرت السفينة: أطاعت وطاب لها السير... وتسخرت دابة لفلان: أي ركبها بغير أجر [2].

وجاء في مقاييس اللغة: السين والراء والخاء أصل مطرد مستقيم يدل على احتقار الشيء واستذلال، ومن ذلك قولنا سخر الله- ﷻ- الشيء وذلله اذ ذلله لأمره وإرادته [3].

ب) التسخير في الاصطلاح:

جاء في المفردات: سخر: التسخير سياقه إلى الغرض المختص قهرا، قال تعالى: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ** ﴾ **(الجاثية: 13)**،... فالمسخر هوالمقيض للفعل، والسخري: هوالذي يقهر فيتسخر بإرادته، قال: ﴿**لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا** ﴾ **(الزخرف: 32)**[4].

---

[1]: ابن منظور، لسان العرب، ج: 8، ص: 354.

[2]: الفراهيدت (175)هـ، كتاب العين، دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط:1، 2001م، ص: 415.

[3]: ابن فارس، مقاييس اللغة، ص: 578.

[4]: الأصفهاني، المفردات، ص: .233.

قال الإمام القرطبي- رحمه الله-: المسخر المذلل، وقيل تسخيره وثبوته بين السماء والأرض من غير عمد، ولا علائق، والأول أظهر[1].

المطلب الثاني: التسخير في القرآن الكريم (صيغه وآياته):

الآيات القرآنية التي ورد فيها التسخير بلفظ التسخير ومشتقاته التي تعني، كُلُّ ما ذَلَّ وانْقادَ أو تَهَيَّأَ لك على ما تُريد فقد سُخِّرَ لك هذه الألفاظ هي: سخر، مسخرات.

اللفظ الأول: جاء بصيغة الفعل الماضي:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾(الرعد: 2)

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ (ابراهيم: 32)

اللفظ الثاني: جاء بصيغة الإسم:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: 164).

---

[1]: القرطبي، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر ت(671)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق د. التركي، عبد الله بن عبد المحسن، 2006، دار البشير، ط1- عمان، مؤسسة الرسالة– دمشق.

المطلب الثالث: الفكر ومبدأ التسخير:

جاءت آيات قرآنية عديدة تحدثنا عن التسخير لخدمة الدور الذي أنيط بالإنسان في الارض، وهي تمنحنا التصور الإيجابي لدور الإنسان الحضاري وذلك من خلال توجيه الفكر الإنساني للتفكر في هذه المخلوقات المسخرة لخدمة الإنسان وينأى عن التصورات السلبية لعديد من المذاهب الوضعية التي جردت الإنسان من قدراته الفاعلة وأهملت دور العقل وكبلت الفكر في قيود الخوف والخضوع للطبيعة، وكأن هذه الطبيعة لها الإرادة الكاملة والمشيئة التي تستطيع بها أن تتحكم في سير الإنسان وإرادته، ونظرته إلى الكون، وليس بمقدور الإنسان إلا أن يخضع و يساير ويستسلم لهذه الطبيعة، وكأنها الإله الأوحد، كما في منظورهذه المذاهب التي تدعي أن الإنسان جزء أو مساحة من مكونات الطبيعة فحسب، وإنه ليس أمامه إلا أن يتشكل وفق مقتضيات أحكام هذه الطبيعة، بلا أي اعتبار لإرادته، وقدراته، ومطامحه، وفكره، ومعتقداته.

غير إننا نشهد عبر معطيات القرآن الكريم صيغة أخرى للعلاقة بين الإنسان والكون تختلف من أساسها مع ما سعت اليه تلك المذاهب الوضعية من تعبيد الإنسان للطبيعة، وبينت الدور الكبير الذي أنيط بالعقل البشري، فحرر الفكر من قيوده، ليجد الإنسان نفسه السيد الفاعل المريد الذي سخرت وأخضعت له كل ما في الكون، لتلبية متطلبات خلافته في الارض واعماره لها، وذلك من خلال التوجيه القرآني للفكر الإنساني بهدف هدايته إلى الحقيقة الأولى وهي توحيد الخالق سبحانه وتعالى.

إذن الكون في المنظور القرآني ليس قوة فوقية قاهرة لا حيلة للإنسان إلا أن يتعبده أو يسجد لحيثياتها، ولا هي خصم عنيد ذا قوة قهرية يتوجب غزوه وإذلاله.. فبعيدا عن غثاء هذه المذاهب وظلمتها، وتشنجاتها.. يبرزالكون بصيغة، تختلف تماما عن هذا المنظور، إلى صيغة وصبغة المنظور القرآني الذي يشع النور في الفكر الإنساني ويهديه إلى عين الحقيقة، وهي أن هذا الكون سخرللإنسان من اجل ان يتحرك فيه ويبني و يعمر وينشئ ويطوروهويتقدم صوب تحقيق مفهوم العبودية لله-ﷻ- في ظل الفهم و والتناغم والوفاق والآلفة بين الإنسان والكون.

إذن التسخير هو القاعدة الأولى، الأصل الأساس الذي يطرحه القرآن الكريم، ليكون بداية توجيه الفكر الإنساني، إلى الخالق سبحانه، بدلا من التعبد أوالغزو للكون الذي تطرحه المذاهب الوضعية المتخلفة.

المسألة (1): مبدأ التسخير في القرآن الكريم:

"ان التسخير كما قدمه القرآن الكريم هوالمبدأ الوسطي الفعال الذي يقدمه القرآن الكريم بصدد التعامل مع العالم بدلا من الخضوع والتعبد أوالغزو والإنشقاق اللذين هيمنا على المذاهب الأخرى"[1].

المسألة (2): مقاصد التسخير:

1) التسخير ودلالاته على الألوهية والربوبية:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ **(الأعراف: 54)**.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾**(الحج: 65)**

---

[1] : خليل، عماد الدين، مدخل الى الحضارة الإسلامية، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، الأحباس- المغرب، بيروت- لبنان، ص: 40.

* التفكر في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(النحل: 44) وفي التفكر في حال النبي ﷺ قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(الأعراف: 184).

وجاءت الدعوة التفكر في آيات الله الكونية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس: 24).

2) التسخير والإيمان بالله:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾**(النحل: 79)**.

قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾**(الحج: 37)**.

3) التسخير وشكر النعم:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ **(النحل: 14)**

وقال تعالى: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾**(الحج: 36)**

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ **(الجاثية: 12)**.

4) التسخير واليوم الآخر(*):

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾**(الرعد: 2)**

(*) "إن ما يعرف لنا ربناهو ثلاثة معرفين أدلاء عظام: أوله: كتاب الكون...وثانيه: هو الآية الكبرى لهذا الكتاب العظيم، وهو خاتم ديوان النبوة...ﷺوثالثه: القرآن الكريم."بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور: الكلمات، ترجمة: احسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، 1992، دار سوزلر للنشر، استانبول، ص 254.

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾(الروم: 8).

5) التسخير والتفكر(*):

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ **(النحل: 10- 13).**

وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ **(الجاثية: 13)**

وبتدبر هذه الآيات الكريمة نرى أن آيات التفكر جمعت كل المسخرات سواء كانت في السموات، أو في الأرض أو ما بينهما، بينما تفرقت في الآيات الدالة على الألوهية والربوبية، والآيات التي تدعو إلى الإيمان، وشكر النعم، والإيمان باليوم الآخر، وهذا يعطينا مؤشرا عظيما مخلوقات الله- ﷻ- لما له من أثر بالغ في الهداية وإن دل هذا على شيء يدل على أهمية وحكمة وقوة التوجيه القرآني للفكر الإنساني.

ونلاحظ أيضا ملاحظة هامة وهي أن مبدأ التسخير له علاقة وثيقة بمبدأ الإستخلاف الذي يمثل الأصل الثاني من أصول التوجيه القرآني للفكر الإنساني، ولذلك جاء ذكر الإستخلاف

(**) الذي يحاول بناء الفكر الانساني وتوجيهه مركزا على الكتاب الكوني فقط فإنه لن يتمكن من اكتشاف الحقيقة العظمى للوجود الإنساني. كما أن الذي يوجه نظرهوفكرهفقط إلى القرآن الكريم مغفلا الكتاب الكوني فإنه لن يهتدي الى الحقيقة العظمى للوجود الانساني مهما بذل من جهد في سبيل ذلك، وسيبقى يتخبط بالظلام لا يهتدي لشيء، ويفتقد بعدا مهما من أبعاد القراءة الصحيحة للدلالات العظيمة المستنبطة من منهجية التوجيه القرآني للفكر الإنساني.

مقرونا بالارض في القرآن الكريم في أكثر من مرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقـــرة: 30). وقولـــه تعـــالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(سورة النور/الآية: 53).

المطلب الرابع : الإنسان غاية التسخير

الإنسان هو مخلوق من ضمن المخلوقات التي خلقها الله- ﷻ-، فلماذا يسخر الكون لـه؟ ولا يسخر لغيره من المخلوقات أيضا؟

إنه وعي الإنسان وقدرته على التفكر والنظر والتدبر وهذا الوعي هوما ميز هذا المخلوق عن سائر المخلوقات الحية.

إن الفهم الإسلامي لمبدأ التسخير يطرح تصورا متكاملا حول هذه المسألة، وهذا التصور يبدأ من الله- ﷻ- في إرادته الخلق وينتهي إلى العالم، هذه الإرادة تكمن في قضية استخلاف الله- ﷻ- الإنسان في الأرض، وفق شروط وضوابط معينه، علمها الله- ﷻ- لهذا المخلوق بعدة طرق ليتكامل المنهج الإلهي الذي أراده الله- ﷻ- من استخلاف الإنسان. فخلق الارض والكون وفقا لسنة إلهية اعتمدت تنظيما دقيقا للوجود المادي والحيوي يكفل اشتراطات تشير كلها إلى وحدة الخالق وبالتالي إنها الإرادة الإلهية زودت هذا الخليفة بالقدرات اللازمة لقيامه بواجب الخلافة على الوجه الأفضل والأكمل. وأنه إذا فعل ذلك وأحسن استثمار هذه القدرات التي حباه الله إياها فإنه يتوصل إلى معرفة الله الخالق الواحد القادر المريد وعرف ان وجوده ليس عبثا، وأن خلق هذا الكون[1] الهائل لم يكن ولا يمكن أن يكون عبثا، وهذا يقودنا إلى أن مبدأ التسخير وفق سياق متكامل يبدأ مع الإرادة الإلهية متحققا في جميع مراحل الخلق الكون، إذن فإن مبدأ التسخير هوجزء من منظومة متكاملة وشاملة تسوق إلى معرفة الله والوصول اليه

---

[1]: الطائي، محمد باسل، كتاب صيرورة الكون مدارج العلم ومعارج الايمان، 2010، اربد- الاردن، ص 288 بتصرف.

ولكي يتحقق ذلك لا بد من وسيلة يتمكن بها الإنسان من هذا الوصول قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(المائدة: 35).

*﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ (الاسراء: 56- 57).

إذن مبدأ التسخير وسيلة تم بموجبه تحقيق هدفين:

الأول: تمكين الإنسان من الفعل الإيجابي بما يحقق مبدأ الإستخلاف على الصعيد العملي، بما في ذلك عمارة الأرض وفقا لسنة الله تعالى.

الثاني: إيصال الإنسان إلى معرفة الله- ﷻ- وإدراك وحدانيته من خلال إدراكه لوحدة الخلق. فهذه هي غاية الخلق، معرفة الله-ﷻ- وعبادته، وبين العبادة والمعرفة وصل صميمي لا ينفك، ولا يعني تعطيل العمل، والتوقف عن البحث والنظر والتدبر والتدقيق بل على العكس تماما تقتضي معرفة الله- ﷻ- مزيدا من الجد في العمل والنظر والتحقيق والتدقيق لإنفاذ مبدأ الإستخلاف الحقيقي [1].

وقد جاء في القرآن الكريم آيات بينات كثيرة فيها حقائق علمية راسخة غاية في الدقة والإبداع فيما يتعلق بالكون بما فيه من سماوات ونجوم وكواكب، والأرض بما فيها من جبال، وبحار، وكائنات مختلفة منها الحيوانات والحشرات، والنباتات، ثم جاء خلق الإنسان وتطوره جسما وعقلا وروحا، وغير ذلك من الكائنات والمخلوقات التي لم تكن معروفه، وشاء الله- ﷻ- ان يجعل هذا الكون العجيب كتابا مفتوحا يقرؤه كل من يتأمل بعين العقل والفكر والتبصر والتدبر، ليتضح أمام بصيرته ما فيه من دقة، وروعة وجمال بما أودعه لله في نظامه الدقيق من قوانين ونواميس تحكمه وتنظمه لتكون مؤشرا واضحا يشير إلى إبداع الخالق، وقد جاءت آيات قرآنية فيها إشارات إلى هذه العلوم الكونية، ليستطيع أهل الفكر والتدبر أن يلمسوا الصلة الوثيقة بين ما أوحى الله- ﷻ- به وما كشف عنه العلم الحديث بعد عدة قرون من نزول القرآن.

---

[1]: المصدر نفسه، ص 289.

ومن هنا نرى أن مبدأ التسخير يشكل القاعدة الأساس والأصل الأول الذي استخدمه القرآن الكريم في عملية توجيه الفكر الإنساني، وبذلك أحيا القرآن الكريم ما اندثر من بقايا الأصول الإيمانية، التي كان الفكر الإنساني القديم قد وصل اليها، رغم قلتها وضيق مجالها، ونقاها من الشوائب والأوهام والخرفات، بإتباع الإنسان السوي هذا المنهج القرآني الحكيم، المعتمد على المشاهدة، والتجربة، والنظر والتدقيق والتحقيق، والتدبر والاعتبار، ولا يقبل سوى الحجة والبرهان دليلا إلى الهداية، وهذا ما فتح أمام الإنسان آفاقا جديدة، من العلوم والمعارف التي سعوا إلى خوض غمارها، ومصارعة لججها، للوصول إلى عين الحقيقة، التي لا يغفل عنها إلا من ينظر إليها بعين واحدة عوراء.

المبحث الثاني

مبدأ الإستخلاف

المطلب الأول: الإستخلاف لغة واصطلاحا:

جاء في مقاييس اللغة[1] الخاء واللام والفاء في "خلف" أن يجيء شيء بعد شيء فيقوم مقامه، فالخَلف- بفتح أوله ووسطه- ما جاء بعد الشيء، يقولون: هوخَلف صدق من أبيه، أوهوخَلف سوء من أبيه، فإذا لم يذكروا في الكلام خيراً ولا سوءً قيل للجيد: خَلف- بالفتح- وللرديء- خَلف- بالتسكين- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾. **(مريم: 59)**.

والخلافة: سميت بذلك لأن الثاني يجيء بعد الأول قائماً مقامه.

وخَلف فلانٌ فلاناً: إذا كان خليفته، يقال خلفه في قومه خلافةً، قال تعالى﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي ﴾**(الأعراف: 142)**، ويقال في الدعاء: أخلف الله عليك، أي كان الله تعالى الخليفة عليك لمن فقدت من أب أوحميم، وخلّف الله عليك "أي عوضك عن الشيء الذاهب منك ما يقوم بعده ويخلفه.

ب) الإستخلاف في الإصطلاح:

عرفه الراغب بمفرداته: "والخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف وعلى هذا الوجه الاخير استخلف الله أولياءه في الارض، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾وقال: ﴿ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ﴾والخلائف جمع خليفة،

---

[1]: ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الجبل- بيروت، ص: 210–211.

وخلفاء جمع خليف، قال تعالى﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾- وجعلناهم خلائف - وجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح"[1].

وعليه فإن معنى الخلافة تدل على النيابة أو الوكالة وهذا ما أشار اليه الزمخشري في تفسيره للخليفة حيث قال: "ومعناه مُصَيّرٌ في الأرض خليفة. والخليفة: من يخلف غيره. والمعنى خليفة منكم، لأنهم كانوا سكان الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته. فإن قلت: فهلا قيل: خلائف، أوخلفاء؟ قلت: أريد بالخليفة آدم. واستغني بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر أبي القبيلة في قولك: مضر وهاشم. أوأريد من يخلفكم... "[2].

وعرفه ابن كثير بقوله: "قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل"[3].

ومن هنا يتبين لنا أن الخلافة تعبر عن وجود علاقة بين أطراف مختلفة، تتكامل فيما بينها لتحقيق مبدأ الإستخلاف في الأرض وهي: الستخلف- بكسر اللام- وهوالله- ﷻ-، والمستخلف- بفتح اللام- وهو الإنسان- والمستخلف فيه وهي الأرض، والمستخلف عنه وهوشرع الله [4].

المطلب الثاني: الإستخلاف في القرآن الكريم (صيغه وأياته)[5]:

الألفاظ القرآنية التي وردت في الإستخلاف بلفظ الإستخلاف ومشتقاته، التي تعني مجيء شيء بعد شيء آخر والحلول مكانه، هي: استخلف يستخلف بصيغة الماضي والمضارع، وخَلِيْفَة، ومسْتَخْلَف، وخَلَائِف، وخُلَفَاء.

---

[1]: الأصفهاني، مفردات، ص: 157.

[2]: ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في جوه التأويل، دار الريان للتراث، القاهرة، ط3، 1997، ج1، ص: 125.

[3]: عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت (774)هـ، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج1، ص: 122

[4]: ينظر في شرح العقيدة الواسطية، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام- الطبعة الرابعة 1424هـ ج 2، ص: 204.

[5] ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، شركة خياط للكتب والنشر، ص: 239

اللفظ الأول: اسْتَخْلَفَ

ورد لفظ استخلف بصيغة الماضي والمضارع في القرآن الكريم في أربعة مواضع منها:

قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾(الأنعام: 133).

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾(هود: 57).

اللفظ الثاني: خليفة:

الخليفة على وزن فعيله، وجمعه خلائف وخلفاء. وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في موضعين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(البقرة: 30).

وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (ص: 26).

اللفظ الثالث: مُستخلَف:

مُستخلَف اسم مفعول لخلف، وقد ورد في موضع واحد، قال تعالى: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾(الحديد: 7).

اللفظ الرابع: خلائف:

الخلائف: جمع خليفة، على وزن فعائل، مثل كريمة وكرائم، وهوالخليف والجمع خليفة[1]، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في أربعة مواضع منها:

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ **(الأنعام: 165)**.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ **(يونس: 13-14)**.

اللفظ الخامس: خلفاء:

خلفاء على وزن فعلاء وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع وهي:

قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ **(النمل: 62)**.

وقوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾**(الأعراف: 69)**.

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾**(الأعراف: 74)**.

---

[1]: ينظر في لسان العرب، ابن منظور، ج4، ص: 83.

المطلب الثالث: الفكر ومبدأ الإستخلاف.

تعتبر قاعدة الإستخلاف من القواعد المهمة التي يقوم عليها أصول التوجيه القرآني للفكر الإنساني، وترجع أهمية هذه القاعدة بالنسبة إلى كونها تمثل أصلاً رئيساً له ينبني عليه كثير من المبادئ الإعتقادية والقيم الأخلاقية والقواعد الشرعية المرتبطة بحق التوحيد والعبودية لله- ﷻ- الذي استخلف الإنسان ليقوم بمهام الخلافة وفق منظومة شرعية نزل بها الوحي للبشر عامة ولبعضهم خاصة في إحلال من كان قبلهم في ملكية هذه الارض.

وقد صرح القرآن الكريم بأن الله- ﷻ- خلق آدم- عليه السلام- ليكون خليفة في الارض، يقول الله تعالى ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾**(البقرة: 30)**، وقد بدأ هذا الاستخلاف بآدم- عليه السلام- ومن بعده كل ذريته، فهم جميعًا مستخلفون في الأرض، يقول تعالى أيضا: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ **(الأنعام: 165)**.

ولكن هذا الإستخلاف للبشر اِسْتِخْلَافُ مُقَيَّدٌ بِقُيُودٍ، ويُلزم المُستَخْلفين بواجبات في الأرض؛ حيث إنه"لا جدال في أن الله أوجب على البشر حين أسكنهم الأرض أن يطيعوا أمره وأن ينتهوا بنهيه، وأنه عهد إليهم ألا يعبدوا إلا إياه، وألا يخشوا غيره، وأن يتحلوا بالتقوى، وأن يحذروا فتنة الشيطان، وأعلمهم من اتبع هدى الله فقد اهتدى، ومن كفر بآيات الله وكذب برسله فقد ضل وغوى، وأنه جعل للمهتدين الأمن، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وجعل للكافرين المكذبين النار هم فيها خالدون: ﴿ **قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴾**(البقرة: 38، 39)**، وغدًا يحاسب الله البشر على زيفهم وضلالهم، وعلى تركهم طاعة الله واتباعهم الشيطان"[1].

---

[1]: عودة، الإسلام وأوضاعنا السياسية، ص 17.

=

المسأله (1): الخلافة عبودية وسيادة:

والخلافة لغة هي النيابة والوكالة، وتتطلب هذه الوكالة لكي تقوم عدة عناصر رئيسية وهي: الموكل والوكيل والموكل عنه وشروط الوكالة ومدتها، ثم الحساب في نهاية الوكالة. وهذه العلاقات الموجودة في الوكالة موجودة أيضا في حقيقة الخلافة:

1- المستخلِف: الله ﷻ سواءً في الاستخلاف العام أوالخاص.

2- المستخلَف: الإنسان سواءً في الاستخلاف العام أوالخاص.

3- المستخلَف فيه: الأرض وما فيها وما عليها.

4- شروط الخلافة: التكليف أو الرسالة السماوية أو الشريعة.

5- مدة الخلافة: الحياة الدنيا بدأ بآدم- عليه السلام- إلى قيام الساعة.

6- الحساب: يوم الدين.

ومن هذه المحددات نستشف كيف تكون الخلافة عبودية وسيادة، حيث أننا نجد أن هناك علاقة بين الخليفة- الإنسان- وبين الله- ﷻ- الذي استخلفه من جهة، وهي أيضا تعبير عن علاقة أخرى بين الغنسان وبين كل ما استخلفه الله في الأرض من جهة أخرى.

والعلاقة الأولى التي هي بين الإنسان وبين ربه تتمثل في الخضوع والطاعة واستسلام الخليفة لمن استخلفه، أوهذا ما يحب أن يكون، وبكلمة واحده يمكن التعبير عن هذه العلاقة بالعبودية، أما العلاقة بين الانسان وما استخلف فيه يمكن التعبير عنها بالسيادة[1].

المسأله (2): أطوارالاستخلاف:

أ- الأسرة: يشير القرآن الكريم أنالأسرةهيأولأطوارالاستخلافالاجتماعي ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾كماإنها الخلية الأولي

=

"فخضوع الانسان الحقيقي لله–ﷻ– وحده استعلاء وسيادة للإنسان على كل شيء في الأرض. وتحقيق الإنسان لسيادته على كل شيء في الأرض معناه التحرر من كل شيء في الأرض، وهذا يستلزم ويؤدي في نفس الوقت الى عبودية الإنسان، لله وحده". د. فاروق الدسوقي استخلاف الانسان في الارض، ص: 33.

[1]: المصدر السابق، استخلاف الانسان في الارض، ص: 17- 18 بتصرف.

التي يعتمد عليها بناء الجسم الاجتماعي، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

ب- العشيرة: ينقسم الجسم الإجتماعي إلى عدة خلايا مجتمعة مع بعضها البعض لتكون العشيرة الواحدة التي تظل تحت عباءتها عدة أسر تتقارب في الرؤى، وتشترك في المصير، وقدعرض القرآن الكريم للعشيرةكوحدة اجتماعية متكاملة، مشتركة في تقرير المصير، قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾(التوبة: 24)

ج- القبيلة: ثم يستمرانتشارالبشرفتصبح العشيرة بنية أساسية في بناء القبيلة، التي تجمع العشائر تحت مظلة واحدة، وتتميز القبيلة بالأصل الواحد، حيث يعد النسب مقياس الإنتساب إليها دون غيرها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(الحجرات: 13).

د- الشعب: ثم كان طورالشعب وفيه أرسل الله – عز وجل - صالح عليه السلام﴿ وَٱذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾(الأعراف: 74).

هـ- الأمة: مع انتشار الشعوب واتحادها واشتراكها في الأهداف، والرؤى، والغايات، تتكون الأمة، وقد أقرها القرآن الكريم وأشاد بها، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(البقرة: 143).

و- العالمية: إن عالمية الدعوة في الإسلام كانت تعني أن غاية الإسلام الإرتقاء بالبشرية إلى

طور الإستخلاف الإجتماعي العالمي﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، فلأمة هي أصل وحدة تكوين طور العالمية وروافده.

المطلب الرابع: أقسام الإستخلاف:

1- الإستخلاف العام:

صرح القرآن الكريم بخلق الخليفة الأول في هذه الأرض، وقد سبق ذكر مهمة وأهمية هذا المخلوق قبل ذكره نفسه مما يدل على أن الغاية القصوى، والهدف الأسمى من خلق هذا المخلوق هو تحقيق مبدأ الإستخلاف على الأرض، ليقود هذا المبدأ الإنسان إلى معرفة الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد. وقد بدأ هذا الإستخلاف بآدم- عليه السلام- ومن بعده ذريته، فهم جميعا مستخلفون في الأرض، يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ **(الأنعام: 165)**[1].

وقد ذكر الرازي في تفسيره لهذه الآية أن للخلافة وجوها وهي:

1: جعلهم خلائف الارض لأن محمداً عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين، فخلفت أمته سائر الأمم.

2: جعلهم يخلف بعضهم بعضاً.

3: أنهم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها.

أن الله-عز وجل- استخلف البشر عامة في أرضه، ليقيموا السُّنن، ويكتشفوا العجائب والأسرار، ويعملوا على نشر دعوة التوحيد، وإقامة العدل، وتحقيق الأمن الذي يبعد البشر عن سفك الدماء، ويرعى هذه الأرض بالعمران والنماء وكل شيء يزيد الخير فيها على الصعيد المادي والمعنوي

---

[1]: الرازي، أبو عبد الله، محمد بن عمر بن حسين القرشي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2004م، مج: 5، ص: 193.

وفـي كـل المجـالات، قـال تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ **(الأعراف: 10)** وقال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ **(هود: 61)**.

وقـــال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾**(الحج: 41)** وقال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ **(الجاثية: 13)**[1].

2- الإستخلاف الخاص: وهوالإستخلاف في الحكم وفيه نوعان:

ا) اسـتخلاف الأفـراد: إن اسـتخلاف الأفـراد هوالاسـتخلاف فـي الرئاسـة والقيـادة والسـادة، فقـد جعـل الله آدم خليفـة فـي الأرض ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ **(البقرة: 30)**.

وجعل الله داود خليفة ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ **(ص: 26)**، قال ابن عاشور: "أنـه خليفـة الله فـي إنفـاذ شـرائعه للأمـة المجعول لهـا خليفـة ممـا يـوحي بـه إليـه وممـا سـبق من الشريعة التي أوحي إليه العمل بها.

وقد يُسَمَّى المُسْتَخْلفُ إمَامًا كما سُمِّي إبراهيم -عليه السلام- ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾**(البقرة: 124)**[2]

وبين ابن عاشور المقصود من الإمام بقوله: "والمراد بالإمام هنا الرسول فإن الرسالة أكمل أنواع الإمامة والرسول أكمل أفراد هذا النوع. وإنما عدل عن التعبير {برسولاً} إلى {إماماً}

---

[1]: انظر مصدر سابق، الاسلام وأوضاعنا السياسية، ص: 14.

[2]: مصدر سابق، التحرير والتنوير، ج: 22، ص: 242.

ليكون ذلك دالاً على أن رسالته تنفع الأمة المرسَل إليها بطريق التبليغ، وتنفع غيرهم من الأمم بطريق الاقتداء،... "[1].

وكما سُمِّي أيضا بعض رؤساء بني إسرائيل ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(السجدة: 24).

وَقَدْ يُسَمَّى المُسْتَخْلَفُ مَلِكًا ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ (البقرة: 247).

وقد يشار اليه بالتمكين كقوله في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾(يوسف: 56)

3- استخلاف الدول أو الأمة:

إن "استخلاف الدول معناه الأول تحرير الأمة واستقلالها بحكم نفسها وجعلها دولة لها من السلطان ما يحمي مصالح الأمة وَيُعْلِي كلمتها، ومعناه الثاني اتساع سلطان الدولة حتى يشمل فوق أبناء الأمة أممًا وشعوبًا أخرى"[2].

إن سُنَّةُ اللهِ- ﷻ- في استخلاف الأفراد والأمم أن يستخلف من كانوا أهْلاً للاستخلاف، ليبتليهم جميعًا فيما آتاهم؛ فإن استقام المُسْتَخْلَفُونَ على أمر الله، ودعوا إليه، وعبدوه وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وفعلوا الخيرات واجتنبوا السيئات، وأمروا بالمعروف وَنَهَوْا عن المنكر، إذا فعل المستخلفون ذلك مكن الله لهم في الأرض،﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج: 41).

---

[1]: مصدر سابق، الاسلام وأوضاعنا السياسية، ص: 15.

[2]: مصدر سابق، الإسلام وأوضاعنا السياسية، ص: 16، بتصرف.

قال ابن عطية في تفسير هذه الآية: "وإنما الآية آخذة عهداً على كل من مكنه الله، كل على قدر ما مكن، فأما {الصلاة} و{الزكاة} فكل مأخوذ بإقامتها وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكل بحسب قوته"[1]. وان لم يقوموا بواجبات الخلافة الموكله اليهم كما بينتها الآيات الكريمة استبدلهم الله- ﷻ- بغيرهم.

[1]: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج: 15، ص: 294.

المبحث الثالث

النقلة المعرفية

المطلب الأول: تعريف المعرفة:

- **المعرفة لغة:**

جاء في لسان العرب: عرفت زيدا، ونقول عرف لأن الشيء لا عارف وربما وضعوا اعترف موضع عرف كما وضعوا اعترف، وقد تعارف القوم أي عرف بعضهم بعضا، كما أن العارف هي الوجوه والمعروف الوجه لأن الإنسان يعرف به ومعارف الأرض وجهها أو ما عرف عنها"[1].

كما وردت بمعنى المجازاة؛ قال الزمخشري: لأعرفن لك ما صنعت؛ أي: لأجازيك به[2].

المعرفة في الإصطلاح: تعددت تعريفات العلماء "للمعرفة" من حيث الإصطلاح فالأصفهاني يعرفها بأنها "المعرفة والعرفان أدوات الشيء بتفكر وتدبر، وهو أخص من العلم ويضادها لإنكار، ويقال فلان يعرف الله، ولا يقال يعلم الله،... ويقال الله يعلم كذا، ولا يقال يعرف كذا، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر[3].

وعرفها الميداني بقوله: "المعرفة هي: إدراك ما لصور الأشياء أوصفاتها أوسماتها وعلاماتها، أو للمعاني لمجردة سواء أكان لها في غير الذهن وجود أم لا"[4].

---

[1]: ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص: 154.

[2] الزمخشري، ابي القاسم محمود بن عمر، (583)هـ، أساس البلاغة، 1989م، دار القلم- بيروت، ص 415.

[3]: الأصفهاني، المقردات، ص: 334.

[4] الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق- سوريا، ط4، 1993، ص 123

المطلب الثاني: الجمع بين قراءتين:

المسأله (1): مفهوم الاصطلاح:

نعني بالجمع بين القراءتين، الجمع بين قراءة الوحي- الكتاب المسطور- وقراءة الكون- الكتاب المنظور- والجمع بين القراءتين انبلجت منذ إشراقات الوحي الأولى، التي جاءت تربط الإنسان بين عناصر المعرفة الأساسية، فالفكرة تقوم على أن الكون كتاب الله المخلوق المادي المجسم، وأن القرآن كتاب الله المنزل، وأن الكتابين في كل منهما مؤشرات تهدي إلى الآخر، فإذا كان القرآن الكريم قد اشتمل على كثير من المؤشرات التي تدعونا إلى التفكر، والنظر في الكون والتدبر في نواميسه والتبصر في قضاياه وبذل الجهد في استنباط قوانينه والقواعد الأساسية التي يقوم عليها، والإعتبار بها، فإن في الكون دعوة مماثلة للوصول إلى القرآن الكريم، وذلك بتوجيه القرآن الكريم الفكر الإنساني، التوجيه السليم الذي يقوده لمعرفة الخالق- سبحانه- من خلال آثاره في مخلوقاته، فيزداد الإنسان إيمانا بقراءة الكتابين معا ويزداد هداية [1].

المسأله (2): الأمر بالقراءتين:

لقد أمر الله- سبحانه- عبده ونبيه محمد-ﷺ- في مفتتح التنزيل ومنذ بداية الوحي بقراءتين:

القراءة الأولى: قراءة في الخلق ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾، وحيث القرآن الكريم ليس فيه تكرار ولا ترادف، ولاتحتاج آياته إلى المؤكدات. فان كل كلمة من كلماته، وإن بدت مرادفة أومماثلة ومطابقة بحروفها لكلمة أخرى إلا أن لها معنا خاصا، يعرف من خلال السياق، وارتباط هذه الكلمة بما يسبقها وما يلحقها، فإن لكل كلمة أثرها في النظم القرآني. ولا شك أن هذه القراءة في الخلق لها آلياتها ولها خطواتها ولها مؤشرات تقويمها.

إن الأمر بالقراءة في الآية الأولى اقترن باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق فهي أمر بتحصيل فعل القراءة وممارسته مع الاستعانة بالله سبحانه وتعالى، قال الرازي في تفسير هذه الآية: "أي استعن باسم ربك واتخذه آلة في تحصيل هذا الذي عسر عليك واجعل هذا الفعل لله وافعله لأجله" [2].

---

[1]: ينظر العلواني، د. طه جابر، مقدمة في إسلامية المعرفة: ص: 55.

[2]: ينظر العلواني، د. طه جابر، في الجمع بين قراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، 2006، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة- مصر، ص: 14–17 بتصرف.

القراءة الاولى والأمرالأول بالقراءة هوأمر بالقراءة باسم الله لهذا الوحي النازل الذي سيتتابع نزوله حتى يتم قرآنا مجيدا، مفصل الآيات، محكما، مترابطا، متماسكا ومتناسبا، يتلى على الناس ليتعلموا منه الحكمة والهداية والرشد فتزكو نفوسهم وتطهر حياتهم، ويهتدوا به في أداء مهام الاستخلاف في الارض وأداء حق الأمانة والقيام بمقتضيات العمران..

فاقرأ باسمه هو، الذي خلقك من علق، وخلق النوع الإنساني كله منه، قادر على أن يخلق فيك فعل القراءة، ولولم تكن قارئا من قبل. وفي قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ **(العلق: 2)** تنبيه إلى وجوب قراءة الخلق قراءة تبدأ من قراءة الذات الإنسانية من بداية الخلق إلى نهاية الحياة بأطوارها كلها.

القراءة الثانية: "قراءة الكون والتفكر والنظر في الخلق ومعرفة ما دونته البشرية من فهم لهم، وتجارب فيه بأقلامهم، فهذه القراءة هي التي صاغ فيها القرآن المجيد دليل الخلق ودليل الإبداع، والتكليف بالنظر العقلي بالوجود والنظر في آثار الأمم السابقة ومعرفة ما حدث لها". لذلك جاء القرآن الكريم يطلب من الإنسان أن يعمل مسحا ميدانيا على آثار الأمم السابقة، في دعوته للسير في الأرض والنظر في آثار ومآل الأمم السابقة، والإعتبار مما حدث معهم وبهم. فبذلك تكون القراءة المأمور بها قراءتين [1]: قراءة في الكون المخلوق- لكتاب المنظور-، وكل ما يتعلق به من عالم الخلق، بما في ذلك تراث الأمم الذي دونته وآثارها، فبالقراءتين تدرك الفروق بين الأمم التي استفادت بالوحي واتبعته، واستنارت به، وسارت على هديه، وأخذت من قصصهم العظة والعبر، وبين الأمم التي تجاهلته، واعتبرته تاريخ لا أثر له في المستقبل، وتعاملت مع الطبيعة أوالكون- وحده- دون استنارة بهداية الوحي. أوأهملت الكون والتجارب البشرية وعبر التاريخ ودروسه. وقراءة الوحي المنزل على قلب الرسول- ﷺ- بحجة الإكتفاء بالوحي والإستغراق فيه. فمن أدار أن يقرأ الوحي بدقة وتدبر فإنه لا غنى له عن قراءة الكون وما فيه بالنظر في خبرات الأمم السابقة وتجاربها، ومعرفة الحضارات الغابرة وكيف سادت ثم بادت أواندثرت. فلقد اعتنى القرآن فيه عناية فائقة، ولفت الأنظار إلى ذلك في سور كثيرة.

---

[1]: ينظر في العلواني، الجمع بين قراءتين، ص: 19.

وقوله تعالى: الذي علم بالقلم إشارة إلى الأداة التي يتم بها تحصيل العلم والمعرفة وتبادلها وتناقلها لكي يتزود بها الإنسان ويتمكنون من القيام بواجبات الخلافة على الأرض. والأمر الثاني بالقراءة يؤكد على قراءة الكون والنظر في الخلق. اذ لاغنى لمن يقرأ الوحي بدقة وتدبر عن قراءة الكون ومافيه، لأنه مصدر آخر من مصادرالمعرفة الإنسانية. عليه أن يتفكر وينظر ويتفقه في أسرار الكون ونواميسه وآفاقه، والتفكر والنظر في النفس البشرية وما يصلحها أويفسدها، والفطرة وماينميها وما يطمس عليها. حيث أن الإقتصار على قراءة الوحي وحده في معزل عن قراءة الوجود، يؤدي إلى نفور من الدنيا، واحتقار لها ولما فيها، مما يشل طاقات الإنسان العمرانية والحضارية، ويعطلها عن أداء واجباتها في الإستخلاف والأمانة والعمران. فيتعطل فكره، ويحبط عمله، ولايرى لوجوده في الحياة معنى. وكل ذلك يتنافى تماما مع منهج القرآن العظيم الذي يتفاعل ويتكامل فيه الوحي مع الكون في قراءتين متداخلتين تكونان معا بمثابة قراءة واحدة غير قابلة للتجزئة.

أن الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي، قراءة الكون، مسألة منهجية في المعرفة. فالذي يجمع بينهما لايستغني عن الله، لأنه يدرك دوما افتقاره اليه، فلايستبد ولايبتغي علوا في الأرض وطغيانا، ولايلحد ولايدمر الحياة والأحياء ولايعيث في الأرض فسادا [1].

المطلب الثالث: مصادر المعرفة

المسألة (1) الوحي:

- **تعريف المصدر:**

جاء في لسان العرب: المصدر: أصل الكلمة التي تصدر عنها صوادر الأفعال [2]. أي أن كلمة المصدر تعني الأصل.

- **الوحي في اللغة:**

جاء في مقاييس اللغة: الواووالحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء إلى غيرك، فالوحي الإشارة، والوحي الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى كلمة فهو

---

[1]: المصدر السابق، العلواني، ص: 20-21 بتصرف.

[2]: ابن منظور، لسان العرب، ج 8، ص: 216

وحي كيف كان(2).

وقال الراغب الأصبهاني: أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي، وشيء وحي، أي عجل مسرع، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصمت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح. وبالكتابة(3).

تعريف الوحي اصطلاحا:

عرفه القطان بقوله: "الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره[1].

الوحي: "يطلق على الحركة التي تكون بين الملقي والملقى إليه، وهي الألقاء. كما أن الوحي يطلق- ويراد به اسم المفعول، وهوالشيء الموحى، فيسمى وحيا"[2].

المسألة (2) الخصائص التي تميز هذا المصدر- الوحي- عن غيره من المصادر(3):

أولا- حصوله بالإصطفاء لا بالكسب:

" فالوحي منحة إلهية واصطفاء رباني، يصطفي بحكمته وعلمه من يشاء من عبادة ليكون موضع تلقيها، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ

---

(2): الأصفهاني: المفردات، ص536.

(2): القطان، مناع خليل، مباحث في علوم القرآن، ط 2، مؤسسة الرسالة، الرياض، ص: 32.

"الوحي كمصدر للمعرفة والتوجيه في حياة الإنسان يقصد به عموماً كلمة الحق التي أوحى الله إلى الأنبياء والرسل، لكي تبلغ ما أمر به إلى الأمم والوحي كمصدر للمعرفة والتوجيه الإسلامي يقصد به كلمة الله وإرادة الحق التي أوحى إلى نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم لِيبلِغها للناس كافة، رسالة خاتمة كاملة شاملة، هداية للناس وإرشاداً إلى معنى وجودهم وغايةهذا الوجود وتبيان للمقاصد والمبادئ والقيم والأحكام التي ينبغي لهم أن يلتزموها لتحقيق غاية وجودهم وبلوغ مقاصد أعمالهم وعلاقاتهم. وجوهر ما يقدمه الوحي للناس هو توضيح طبيعة علاقة الإنسان بالله، وغاية وجود الإنسان في الكون، ودليل حركة الإنسان في الحياة، ومصيرهذا الإنسان فيما وراء الحياة" ا.د. ابو سليمان، عبد الحميد احمد، أزمة العقل المسلم، ص: 127.

(3): مصدر سابق ، مصادر المعرفة ، الزنيدي ، ص : 145 – 161 بتصرف .

(4): مصدر سابق ، مصادر المعرفة ، الزنيدي ، ص : 145 .

يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴾

(الانعام: 124)"(4).

ثانيا- عدم خضوعه لرغبة الرسول في تنزيله:

الوحي يتم تبعا لمشيئة الله- ﷻ- وحده، في تنزله، ولا يخضع لحاجة أحد أوتلبية لرغبة الرسول-ﷺ- اذ لم يكن له اختيار فيما ينزل أوينسخ أوينقطع، بل يتنزل حسب مشيئة الله- ﷻ- بحمته وعلمه.

ثالثا- اليقينية المطلقة لما قدم من علم:

فالوحي من علم الله- ﷻ- اللدني ثابت، مطلق، غير محدود، يتخطى حدود الزمان والمكان ولا يعجزه ميدان من ميادين المعرفة ومجالاتها، خلافا للعلم البشري المقيد، المحدود، الغير ثابت، والناشئ من ملكات الإنسان المحدودة.

رابعا- تنزهه عن التأثر بالزمان والمكان:

لم يكن للزمن الذي نزل به الوحي ولا للبيئة اية أثر في تشكيل المعرفة التي جاء بها، فلم يكن للأعراف والتقاليد والطقوس التي تحيط بالعرب أبان التنزيل أي أثر على تلك الحقائق والأسرار التي قدمها، بل على العكس تماما جاء الوحي ليهز العقول، ويستنفر طاقاتها ويوجهها التوجيه السليم المناقض لتلك الأعراف والتقاليد والطقوس [1].

خامسا- انتفاء الحلول في تلقي الوحي:

الوحي [2]: علم وأمر يتم بين ذاتين، ذات ملقية، هي: ذات الله- ﷻ- أوذات جبريل- عليه السلام- عن الله- ﷻ- وذات متلقية، وهي ذات الرسول-ﷺ-، وذات الله وذات جبريل مباينتان لذات

---

[1]: المصدر نفسه، مصادر المعرفة ، الزنيدي، ص: 145–156.

[2] المصدر نفسه، مصادر المعرفة ، الزنيدي، 159–162.

الإلهام الفطري للإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(القصص: 7).

=

الرسول-ﷺ- لا تحل احد الذوات في الأخرى، لا في حال الإلقاء، ولا المتلقي، سواء كان الإلقاء بصوت يسمعه أوبغير صوت. فليس الوحي حلولا لذات الله- ﷻ- في ذات الرسول-ﷺ- أواتحاد بينهما.

سادسا- مستند الوحي:

ان طبيعة مستند الوحي تختلف في مستندها عن المصادر الأخرى، فالمدركات الحسية التي يمتلكها الإنسان تختلف من إنسان إلى آخر، لذلك تختلف المعرفة حسب هذه المدركات الحسية، وغالبا ما تستند هذه المعارف إلى التجربة- الراجعة إلى العقل والفكر والنظر والتدبر- التي يحاول من خلالها الوصول إلى المعرفة الصحيحة. أما الوحي فيستند إلى علم الله- ﷻ- وعلم الله مستغن عن الاستعانة بأي وسيلة للوصول إلى معرفة الحقيقة.

=

الإلهام الغريزي للحيوان. كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾(النحل: 68).

الإشارة السريعة بأمر ما، مثل ما جاء في قصة سيدنا زكريا–عليه السلام– حين أشر الى قومه بالتسبيح، قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (مريم: 11)

الوسوسة الشيطانية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾(الانعام: 121).

ما يلقيه الله–ﷻ– الى ملائكته من أمر ليفعلوه، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾(الأنفال: 12). لنبي من انبيائه بشرعه ودينة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾(النساء: 163–164).مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص: 32.

المطلب الرابع- العقل:

إن لفظة العقل جاءت في القرآن الكريم في تسع وأربعين موضعا بمعنى التفكير والإستنتاج، كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾**(يونس: 16)**[1]. قال الرازي- رحمه الله- في تفسيره:﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾يعني أن مثل هذا الكتاب العظيم إذا جاء على يد من لم يتعلم ولم يتلمذ ولم يطالع كتاباً ولم يمارس مجادلة، يعلم بالضرورة أنه لا يكون إلا على سبيل الوحي والتنزيل. وإنكار العلوم الضرورية يقدح في صحة العقل. فلهذا السبب قال:﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[2].

العقل لغة:

جاء في معجم الباقلاني: عقل، يعقل، عقلا، ومعقولا، وهومصدر... قال الأنباري: رجل عاقل وهو الجامع لأمره ونهيه.

والعقل: الحجر والنهى ضد الحمق والجمع عقول....، سمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه[3].

العقل اصطلاحا:

جاء في مفردات الفاظ القرآن: العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل، ولهذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه:

*رأيت العقل عقلين ** فمطبوع ومسموع*
*ولا ينفع مسموع ** إذا لم يك مطبوع*
*كما لا ينفع الشمس ** وضوء العين ممنوع* [1].

---

[1] مصدر سابق، المعرفة في نظر القرآن، ص: 92.

[2]: مرجع سابق، التفسير الكبير، مج: 6، ص: 226.

[3]: فرحات، د. سميرة، معجم الباقلاني في كتبه الثلاث، المؤسسة الجامعية للدرسات والنشر والتوزيع، ط1. 1991، ص: 311-312.

عرفه الجرجاني في تعريفاته بقوله: "أنه جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله- فهو- جوهر روحاني، خلقه الله متعلقا في البدن" [2]

المسألة (1) منزلة العقل في القرآن الكريم:

لم يرد مصطلح العقل في القرآن الكريم ولكن وردت مشتقاته الآتية (يعقلون، عقلوه، تعقلون، تعقل، يعقلها) في السور المكية والمدنية كما يلي:

إسم السورة	رقم الآية	التقسيم حسب مكان النزول
البقرة	(44)، (73). (75)، (76)، (164)، (170)، (171)، (242).	مدنية
آل عمران	(65)، (118)	مدنية
المائدة	(58)، (103)	مدنية
الأنعام	(32)، (151)	مكية
الأعراف	(160)	مكية
الأنفال	(22)	مدنية
يونس	(16)، (42)، (100)	مكية
هود	(51)	مكية
يوسف	(2)، (109)	مكية
الرعد	(4)	مدنية
النحل	(12)، (67)	مكية
الأنبياء	(15)، (67)	مكية
الحج	(46)	مدنية
المؤمنون	(80)	مكية
النور	(61)	مدنية
الفرقان	(44)	مكية
الشعراء	(28)	مكية
القصص	(60)	مكية
العنكبوت	(35)، (43)، (63)	مكية
الروم	(24)، (28)	مكية

=

[1]: الأصبهاني، المفردات، ص: 341.

[2]: الجرجاني، التعريفات، ص: 151.

إسم السورة	رقم الآية	التقسيم حسب مكان النزول
يس	(62)، (68)	مكية
الصافات	(138)	مكية
الزمر	(43)	مكية
غافر	(67)	مكية
الزخرف	(3)	مكية
الجاثية	(5)	مكية
الحجرات	(4)	مدنية
الحديد	(17)	مدنية
الحشر	(14)	مدنية
الملك	(10)	مكية

ومن الآيات التي وردت فيها هذه المشتقات للعقل:

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(البقرة: 44).

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 75)

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(المائدة: 58).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾(العنكبوت: 43).

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الملك: 10).

* يلاحظ مما تم عرضه في الجدول السابق الآتي:

1- عدد السور المدنية التي جاء فيها مشتقات العقل عشر سور في تسعة عشر موضعا.

2- عدد السور المكية التي جاءت فيها مشتقات العقل عشرون سورة في ثلاثين موضعا.

3- عدد مرات تكرار كلمة العقل باستخدام الجذر تسع واربعين مرة.

4- عدد السور المكية وعدد المواضع التي ورد فيها مشتقات العقل أكثر من عدد السور المدنية ومواضعها وتكاد أن تكون الضعف.

هذه الملاحظات البسيطة حول هذا الجدول تمدنا بإشارات لها دلالات عميقة حول توجيه القرآن الكريم للفكر الإنساني نلخصها فيما يلي:

ا) أن القرآن الكريم جاء يستنفر العقول البشرية، ويحثها على التفكر والنظر والتدبر كي يعملوا عقولهم للوصول إلى أم الحقائق الخالدة ألا وهي "توحيد الخالق".

ب) احترام القرآن الكريم للعقل، وتقديره له بان بارزا، في تقديم العقل وتكريمه بالتوجيه الرباني والحث على إعماله بالطريقة الصحيحة، بفتح الكتابين بين دفتي عقلة، الكتاب المسطور والكتاب المنظور، حتى يتمكن من خلالهما الولوج إلى أغوار المعرفة وتحصيل العلوم المختلفة وفي كافة الميادين.

ج) أن الدين الإسلامي قائم على الإقناع، واحترام الفكر وتوجيهه، ولم يأت ليكره الناس للدخول فيه قصرا، بل على العكس تماما، تم توجيه العقل، توجيها محكما، بإقامة الحجج والبراهين المادية والمعنوية، ليستسقن ويستقر فؤاده ويطمئن إلى هذا الدين.

د) ان القرآن الكريم جاء ليحرر العقل من الخرافات والأوهام والأباطيل والتقليد الأعمى للآباء والأجداد ويعيب عليهم اهمال عقولهم في سبيل هذا التقليد، المنحرف والمشوش.

هـ) أن العقل من أعظم النعم التي أنعم الله- ﷻ- بها على عباده اذا تم توجيهها التوجيه السليم، وإعمال العقل واجتهاده وإنشغاله في معالي الأمور يزيد من رقي وقيمة الإنسان في الدنيا والآخرة.

و) أن هناك علاقة وطيدة بين العقل والوحي، لا يمكن فصل احدهما عن الآخر. " الوحي المصدر الإلهي الذي يمد الإنسان والمعرفة الإنسانية بحاجتها من علم بشؤون الغيب وعلاقاته وغاياته الكلية، وعلاقة الإنسان بهذه الكليات والغايات. والعقله وأداة الإنسان للعلم والمعرفة والأداء في هذه الأرض، وهو عالم الشهادة، وذلك تحقيقاً لمهمة الخلافة وغايته في إقامة علاقات والعدل والإحسان "[1].

---

[1]: أبو سليمان، ا.د. عبد الحميد أحمد، أزمة العقل المسلم، ص: 124– 125.

=

وعند استقراء الآيات الكريمة التي جاء فيها مشتقات العقل في العهد المكي وفي العهد المدني نلاحظ الخصائص والمميزات الآتية:

المسألة (2) آيات العقل في السور المكية:

1- إن الآيات عالجت بشكل أساسي مبادئ ومظاهر القدرة على الخلق وآثارها التي تدل على بديع صنع الخالق- سبحانه- ووجهت العقل نحوالتفكر والنظر والتأمل في الكون، والسير في الأرض للاعتبار والاتعاظ، الأمر الذي يشهد بوجود الخالق ووحدانيته.

=

مصطلحات بمفهوم العقل وردت في القرآن الكريم:

1– الألباب: ورد في القرآن الكريم ستة عشر مرة. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: 111) المعجم المفهرس الألفاظ القرآن لكريم، ص: 644.

* ذكر الإمام الرازي- رحمه الله- أن المراد بأولي اللباب، الذين اعتبروا وتفكروا وتأملوا فيها ووجه الاعتبار بقصصهم وما جرى بهم، وهذا اللفظ يدل على المدح والثناء. مرجع سابق، الرازي، مج 6، ص .522

2– النهى: ورد لفظ (أولو النّهى) في القرآن مرتين، كلتاهما في سورة طه(3).في قوله تعالى: ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ (طه: 54).. وقوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾(طه: 128). المرجع السابق، المعجم المفهرس، ص: 722.

* قال الإمام الرازي- رحمه الله-: "لذوي النهى أي العقول والنهية العقل"، مرجع سابق، الرازي، مج 8، ص: 62.

3– الحجر: جاءت في القرآن الكريم كلمة الحجر بمعنى العقل، وهو موضع وحيد في القرآن، في قوله تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾(الفجر: 5) قال القرطبي- رحمه الله- أي لذي لب وعقل. مصد سابق، القرطبي، ج 22، ص: 263.. المرجع السابق، المعجم المفهرس، ص: 194. وذكر الإمام الدمغاني- رحمه الله- الحجر العقل (7). الدامغاني، قاموس القرآن، ص: 119.

قال تعالى:﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾(النحل: 12).

وقال سبحانه:﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾(النحل: 12).

2- وإلى جانب ذلك أشارت الآيات إلى بعض المحرمات مثل الشرك، وعقوق الوالدين، وقتل الأولاد، وقرب الفواحش وقتل النفس المعصومة.

كما في قوله تعالى:﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (الأنعام: 151).

3- وقد تحدثت عن مصدر القرآن الكريم وأنه من عند الله –ﷻ- وحث على تدبره وفهمه والإحاطة بمعانيه، والحذر من اللبس فيه.

كما في قول تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾(يوسف: 2).

وقوله سبحانه:﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا ﴾(الأنبياء: 10).

وقوله سبحانه:﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(الرعد: 19).

4- ودعت إلى الإعتبار بقصص الأنبياء، والتحذير من الشيطان واتباع الهوى، والاتعاظ من الأمم السابقة.

قال تعالى:﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (يوسف: 111).

وقال سبحانه:﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾(العنكبوت: 34- 35).

وقال- عز من قال -:﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴾(يس: 63- 64).

5– وأشارت إلى أهمية تفضيل الآخرة على الدنيا، وتفضيل ما عند الله- ﷻ- على ما في أيدي الناس. قال تعالى:﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾(الأنعام: 32).[1]

المسألة (3) آيات العقل في السور المدنية:

1- دعت إلى الاتعاظ برؤية الآيات الخارقة، والنظر في الموروث من الآيات.

قال تعالى:﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾(البقرة: 73)

وقال سبحانه:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾(البقرة: 171).

2- أشارت إلى وجوب التعقل في آيات الأحكام، والعبادات، مثل العلاقات الزوجية، والحج والقصاص، ودعت إلى حسن التأمل في الآيات المحكمات.

قال تعالى:﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(البقرة: 197).

---

[1]: ينظر في أنيس، د. عبد الحكيم، وظائف العقل في القرآن، ص: 11–42 بتصرف.

قال تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(البقرة: 179).

وقال تعالى:﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (النور: 61).

قال سبحانه:﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(المائدة: 58).

وقال سبحانه:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران: 7).

3- حثت إلى الاستفادة من معطيات التاريخ، والحذر من الأعداء واستبطانهم.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(آل عمران: 65).

وقال سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(آل عمران: 118).

4- أشارت إلى النظر في أفعال الله- ﷻ–والحذر من الإستخفاف بشعائره سبحانه، ونسبة حكم إليه لم ينزله.

كما قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(آل عمران: 190).

قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(البقرة: 164).

5- أكدت وجوب التأدب مع رسول الله-ﷺ- وتوقيره.

قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات: 4).

6- بينت أهمية الحذر من تشتت القلوب.

قال تعالى:﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(الحشر: 13- 14).[1] وحين نريد ان ندرس ظاهرة الفرق بين آيات التعقل في العهد المكي وآيات التعقل في العهد المدني من خلال هذه الخصائص والميزات نجد:

---

[1]: ينظر في المصدر السابق، ص: 43–55 بتصرف.

* إن لفظة العقل جاءت في القرآن الكريم في تسع واربعين موضعا بمعنى التفكير والإستنتاج، د. السيد محمد الحسيني البهشتي، المعرفة في نظر القرآن، ص: 92. وكما في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس: 16).

أولا: إن البعثة بدأت في مكة وعاشت فيها ثلاث عشرة سنة وهذه الفترة تعتبر في الحقيقة فترة إرساء أسس العقيدة الإسلامية بكل بجوانبها المختلفة سواء ما يتعلق بالجانب الإلهي أوالغيبي أوالوجود أوالكون أوالإنسان، لذلك كانت الدعوة إلى التفكر والتعقل بما يتعلق بالكون والإنسان ومواجهة الأفكار والمعتقدات المشوشة التي كانت تسود المجتمع آنذاك.

وهذه الحقيقة تفرض- بطبيعة الحال- أن يكون الحث على التعقل في العهد المكي أكثر شمولاً واتساعاً لمعالجة ما جاءت به الرسالة الجديدة، وهذا هوالذي يفسر لنا غلبة آيات التعقل المكي على المدني من ناحية الحث على التفكر في الكون وحال الإنسان، ومسائل تدعوإلى التوحيد، وذلك لأن المجتمع المكي كان مجتمعاً يتسم بطابع الوثنية في الجانب العقيدي، لذلك كان لا بد من توجيه الفكر الإنساني توجيها يشكل نقطة أساسية في القاعدة للرسالة الجديدة لأنها تتنبى التوحيد الخالص كأساس لكل جوانبها وتفصيلاتها الأخرى. فكان من الطبيعي التأكيد على فكرة الدعوة إلى التعقل والتفكر في أسرار الكون ونواميسه الدالة على قدرة ووحدانية الخالق ورفض الشرك والوثنية بشتى الأساليب والطرق. انسجاما مع طبيعة المرحلة المكية التي تعتبر مرحلة متقدمة، كما إن بيانها في هذه المرحلة يمهد للمرحلة الثانية في العهد المدني.

ثانيا: مع كل هذا لم يهمل العهد المدني دور العقل مطلقا بل تناوله بالشكل الذي ينسجم مع طبيعة المرحلة التي تمر بها الرسالة، فكان له ارتباط وثيق بجوانب كثيرة، حيث وجه القرآن العقل إلى النظر في افعال الله- ﷻ- وكثير من الأحكام، والمعاملات، وغير ذلك، لكسر طوق الأفكار الجاهلية الذي كان مضروباً على المجتمع فكان لهذا الأسلوب الرائع تأثير فعال في تذليل الصعوبات وتأسيس معالم الفكر الإنساني نحوالدين الجديد.

وبعد أن أصبح الإسلام هوالحاكم المسيطر على المجتمع وبعد أن أصبحت مسألة الوحي والاتصال بالسماء مسألة واضحة، جاء التوجيه القرآني للفكر الإنساني يفرض أسلوبا آخر في العرض والبيان. وذلك بتوجيه العقل نحوالتفكر في تفصيلات الأحكام الشرعية والأنظمة الاجتماعية، مكانة الرسول-ﷺ-، وهكذا انتقلت آيات التعقل من العهد المكي إلى العهد المدني من

الأصول والأسس العامة للعقيدة إلى جوانب تفصيلية منها ترتبط بأحكامها ومعلقاتها، وبالعمل على تقويم الانحراف الموروث من الآباء، ومخلفات الوثنية.[*1]

---

[*] جعل القرآن الكريم العقل مناطا للتكليف:

"لا خلاف بين علماء الإسلام أن العقل هو مناط التكليف، والمحور الذي يدور حوله موضوع الثواب والعقاب في الإسلام. كما قرروا أن العقله والمرتكز والبناء الذي يقوم على أساسه النقل". القرضاوي، الحياة الربانية والعلم، ص: 71.

*عرف الباقلاني التكليف بأنه الأمر بما يشق عليه، وتكلفت الشيء تجشمته على مشقه وعلى خلاف عادتك، الباقلاني، معجم الباقلاني، ص: 392.

ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، إلا أنه خاص بالتكليف الشرعي، وعرفه إمام الحرمين بأنه الزام ما فيه كلفة، محمد نعيم ياسين، مباحث في العقل، ص: 133.

*" والتكليف لا يتم إلا بأربعة أمور وهي: التكليف الذي هو المصدر. والمكلف (بكسر اللام) وهو الشارع، والمكلف (بفتح اللام)، وهو المخاطب المطلوب منه الفعل، والمكلف به، وهو المطلوب.

فيظهر مما تقدم أن العقل يتعلق بالمكلف، وأن النص يتعلق بالتكليف الذي هو المصدر، وبالمكلف به لأن النص خطاب التكليف، وهو من أركانه الأساسية، والمكلف به مضمن في النص"، المصدر السابق، أ.د. محمد نعيم ياسين، 240 - 241.

والعقل من نعم الله العظيمة التي أصبغ بها على الإنسان، تميزا له عن سائر المخلوقات، وجعل لهذه الهبة الربانية، القدرة على التفكر، والتدبر، والنظر، والإدراك، والتمييز، وهو الوسيلة التي تحقق غاية توجيه الفكر الإنساني في القرآني الكريم، الى توحيد الخالق، وتطبيق العبادات الشرعية التي أوجبها الله–ﷻ– على عباده، بالإضافة الى تنفيذ موجبات ومقاصد الخلافة في الأرض وعمارتها.

المبحث الرابع

حرية الإعتقاد

التمهيد:

الحرية ولا سيما حرية الإعتقاد هي إحدى المرتكزات الأساسية التي عمل القرآن الكريم على توجيهها الوجهه الصحيحة بخلاف المعتقدات السقيمة التي كانت سائدة في ذلك العصر وما سبقه من عصور، وما يلحقه من عصور تحمل ذات الطابع وتسير على ذات النهج الزائغ. وتأتي حرية الاعتقاد منسجمه ومعبرة عن تطلعات الفطرة الإنسانية، وتعتبر ضرورة من ضرورات حرية الفكر وتطلعاته.

حيث أنها تفسح المجال لكل إنسان في أن يفكر أو يتأمل بمقتضى محاكمته العقلية لإختيار العقيدة التي يراها مناسبة له ومنسجمه مع فكره، وعقله، ليتخذ هذه العقيدة منهجا له في حياته، ثم يعبر عنها سلوكه وفعله، سواء في القضايا الإعتقادية أو التعبدية أوغير ذلك.

ولقد دعا القرآن الكريم إلى استعمال الفكر والعقل للتحرر من ربقة التقليد الأعمى للآباء والأجداد للإهتداء إلى الحق الذي لا يقبل الله سواه، واثبات استقلال الفكر الإنساني في الإختيار لتحمل الإنسان مسؤولية قراره في اختيار الطريق السوي أوالمعوج، ومن أجل تحقيق مبدأ التسخير والخلافة، وبيان أثر النقلة المعرفية، التي أحدثها القرآن الكريم تتجلى هنا حرية الاعتقاد التي تشكل ركنا أصيلا في بناء الحضارة الإنسانية وتقدمها، وعمران الكون، والخلافة في الأرض، وتوحيد الخالق.

ومما لا شك فيه أن ممارسة هذه الحرية حق من حقوق الإنسان الأولية، المعتمدة في سلطتها على الفكر والتأمل والنظر، ثم التحليل والإستنباط والتقرير ضرورية لأي تقدم ولإنجاز ونحن بأشد الحاجة إليها.

وينبغي ملاحظة أن هذه الحرية لا يمكن بأي حال من الأحوال إذا صحت مقتضياتها ودوافعها وغاياتها، لا يمكن أن تتعارض مع قضية التوحيد، وبغير التحرر العقدي يتعطل الفكر

الإنساني ويقف حائرا يتخبط بلا دليل ولا مرشد، مما يؤدي به إلى نهايات قاسية في الحياة الدنيا ومآل وخيم في الحياة الآخرة.

المطلب الأول: الحرية

المسأله (1): تعريف الحرية لغة واصطلاحا:

الحرية لغة:

جاء في المفردات: والحر: خلاف العبد، يقال: حر بين الحرورية والحرورة. والحرية ضربان: الأول: من لم يجر عليه حكم الشيء، نحو: ﴿**ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ**﴾**(البقرة)**. - والثاني: من لم تتملكه الصفات الذميمة من الحرص والشره على المقتنيات الدنيوية، وإلى العبودية التي تضاد ذلك[1].

وجاء في مقاييس اللغة: (حر) الحاء والراء في المضاعف له أصلان:

فالأوّل: ما خالف العُبودِيّة وبَرئ من العيب والنَّقص. يقال هوحُرٌّ بيِّنُ الحَرُورِيّة والحُرّيّة. ويقال طِينٌ حُرٌّ: لا رمْل فيه... ويقال حَرَّ الرّجلُ يَحَرُّ، من الحُرِّيّة.

والثاني: خلاف البَرْد، يقال هذا يومٌ ذوحَرٍّ، ويومٌ حارٌّ. والحَرُور: الريح الحارّة تكون بالنهار واللّيل. ومنه الحِرَّة، وهوالعطش[2].

الحرية اصطلاحا:

عرفها د. محمد سعيد البوطي بقوله" أن يملك الإنسان التوفيق بين إرادته ومحبته بحيث لا يضطره عامل ما إلى توجيه إرادته نحوما لا ترضى عنه نفسه"[3].

وعرفها د. محمد نجيب أبوعجوة بقوله "قدرة الفرد على عمل كل ما لا يضر بالغير"[4].

---

[1]: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: 224.

[2]: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، ص: 96.

[3]: البوطي، محمد سعيد، الاسلام ملاذ كل المجتمعات الانسانية، ص: 103.

[4]: أبو عجوة، محمد نجيب، المجتمع الاسلامي، دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم، ص: 174.

وعرفها د. الزحيلي بقوله: "هي الملكة الخاصة التي تميز الكائن الناطق عن غيره، وتمنحه السلطة في التصرف والأفعال عن إرادة وروية، دون إجبارأوإكراها وقسرخارجي، وإنما يختار أفعاله عن قدرة واستطاعة على العمل أوالإقناع فيه، دون ضغط خارجي، ودون الوقوع تحت تأثير قوة أجنبية عنه، فالحرية قدرة، وحق للإنسان تجاه أخيه الإنسان من جهة، وبما يصدر عنه باختياره من جهة أخرى"[1].

بالنظر لهذه التعريفات، يلحظ الآتي:

أ- الحرية بمعنى استقلالية الإنسان وتخلصه من أي قيود من شأنها أن تحد من إرادته وإعمال النظر، والتدبر، والإدراك، والتأمل في مجموعة من الظواهر والمعطيات والحقائق بهدف الوصول إلى حقيقة جديدة.

ب- الحرية هي الثمرة التي تنتج عن عملية توجيه الفكر السليم.

ج- إن الحرية تعني القدرة على الاختيار المسؤول.

وبالتالي يمكن تعريف الحرية تعريفا اصطلاحيا جديدا كالآتي:

الحرية: إمتلاك الإنسان الإرادة الكاملة التي تخوله اتخاذ القرار المناسب بدون أي عوائق أو ضغوطات تؤثر عليه مع احترام حق الغير فيما يعتقده أويفعله.

المسأله (2): تعريف العقيدة:

- العقيدة لغة:

جاء في مقاييس اللغة: (عقد) العين والقاف والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على شَدٍّ وشِدّةٍ وُثوق، ومن ذلك عَقْد البناء، والجمع أعقاد وعُقود... وعَقَدت الحبلَ أعقِده عَقْداً، وقد انعقد،وتلك هي العُقْدة. وعاقَدته مثل عاهدته، وهوالعَقْد والجمع عُقود. قال الله تعالى:﴿ **أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ** ﴾**(المائدة:1)**، والعَقْد: عَقْدُ اليمين، (ومنه) قوله تعالى: ﴿ **وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ** ﴾**(المائدة:89)**. وعُقْدَة النكاح وكلِّ شيء: وُجوبُه وإبرامُه. والعُقْدة في البيع: إيجابه.

---

[1]: مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية– المجلد 27- العددالأول- 2011/ الحرية الدينية في الشريعة الاسلامية أبعادها وضوابطها، الزحيلي، ص: 337.

والعُقْدَة: الضَّيْعة، والجمع عُقَد. يقال اعتقد فلانٌ عُقْدةً، أي اتَّخذها. واعتقد مالاً وأخاً، أي اقتناه. وعَقَد قلبَه[1].

- العقيدة اصطلاحا:

العقائد هي الأمور التي تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقينًا عند أصحابها، لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك[2].

وهناك تعريف آخر يقول: العقيدة هي الجانب النظري الذي يطاب الإيمان به أولا، وقيل كل شيء تؤمن به لا يرقى إليه الشك، ولا تؤثر فيه شبهة[3].

تعريف حرية الاعتقاد كمصطلح:

"أن يكون للإنسان الحق في اختيار ما يؤدي إليه اجتهاده في الدين، فلا يكون لغيره حق في إكراهه على عقيدة معينة، أوتغيير ما يعتقده، بوسيلة من وسائل الإكراه.

مكانتها:

تعتبر حرية الإعتقاد قاعدة لكفالة سائر الحريات. ذلك أن حرية الإعتقاد أول حقوق الإنسان وأسبق الحريات العامة لأنها بمثابة القاعدة الأساس"[4].

المطلب الثاني- الفكر والحرية:

المسألة (1) مفهوم حرية الفكر:

"تحرير الإنسان من رق التقليد الأعمى وتربيته على الإستقلالية في الإرادة وتحريره من عبادة الأهواء ودعوته إلى الإقتناع بالدليل، وتحريره من الجهل والظن، فإن الإنسان لم يخلق إلا ليعبد الله وحده الذي لا شريك له، لأن الله تعالى خلقه وكرمه وميزه عن سائر المخلوقات بالعقل

---

[1] : ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 4، ص:

[2] : شلتوت، محمود، الاسلام عقيدة وشريعة، ص: 9

[3] : الأشقر، عمر، العقيدة في الله، ص: 11.

[4]: عبد الفتاح، خالد سليم، الحريات في الشريعة الاسلامية، ص: 127.

ليميز ويختار. والفكرهوإعمال العقل وقد حث الاسلام عليه، ودعا الناس جميعا ليصلوا به إلى الحقائق والنتائج المؤدية إلى الإقناع الكامل بالعقيدة الإسلامية"[1].

المسألة (2) شروط حرية الفكر:

ا) أن يقف الفكرعند حدود قدراته وإمكانياته فلا يتجاوزها إلى التفكير بذات الله- ﷻ- لأن حرية الفكر والتفكير قاصرة على تصور ذلك والعقل إمكانياته محدودة كذلك.

ب) منع الفكر المؤدي إلى هدم أصل من أصول الدين المشروعة والمسبب بإيقاع الضرر بالآخرين[2].

فالإسلام اذا يترك للإنسان حريته واختياره حسب فكره ونظره وتصوره، لأن حرية الإعتقاد أساسها إقرار القلب وتسليمه وإقناع العقل وخضوعه، وليس مجرد كلمة تلفظ باللسان، أو طقوس وحركات تقوم بها الأبدان. لذلك كان توجيه القرآن الكريم للفكر الإنساني بدعوته إلى إعمال العقل، وإجهاد الفكر لمعرفة الحق، والوصول إلى الخالق الواحد الأحد. ويجب على كل إنسان أن يحترم حرية الغير وفكره ورأيه ومعتقده، مهما اختلف معه في الفكر أو الرأي أو المعتقد.

التوحيد في المنظور الإسلامي ما هو الا أعلى مفاهيم الحرية، حيث يتحرر الفكر الإنساني والنفس البشرية من رق العبودية لغير الله- ﷻ- وهذا التحرر الذي يخلص الإنسان من قيود التبعية والإنقياد لغير خالقه ومولاه يحفز الفكر الإنساني لينطلق صوب الإبداع والتجديد والإجتهاد والإكتشاف والإختراع.

ويأتي مفهوم الحرية في الفكر الإنساني منطلقا من أن الإسلام جعل حرية الإعتقاد حق لكل إنسان فله أن يعتقد ما يشاء، ويؤمن بما أراد دون إكراه أوقسر من أي سلطة كانت. ومع ذلك لم يتركه يتخبط في الظلام من غير هدي ينير له الطريق بل أرشده إلى الصراط المستقيم، وبين له مآل من يسلك فيه ومآل من يعرض عنه، وجعل له حرية التفكر والتدبر والنظر في عواقب الأمور ويختار[3].

---

[1]: مصدر سابق، المجتمع الاسلامي دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم، ص: 222 .

[2]: المصدر السابق، المجتمع الاسلامي دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم، ص: 227.

[3]: ينظر في المجتمع الاسلامي دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم، ص: 175 – 176 بتصرف.

أن هداية الناس جميعاً إلى عقيدة التوحيد ليس هدفاً جبرياً أوقسريا من الله- ﷻ- ولا يأتي بالإكراه وإنما بتكليف وحرية فكرية مسؤولة في اختيار ما هوأحق بأن يتبع.

ووردت الكثير من الآيات الكريمة الناطقة بحرية الإعتقاد صراحة، مع التحذير من التقليد وإتباع الهوى، قال تعالى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ **(البقرة: 256)**.

وقال سبحانه:﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾**(يونس: 99)**.

وأرشدت الآيات الكريمة إلى الدين دين الفطرة،﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ **(الروم: 30)**.

1- حرية الفكر تتعلق بحرية الإرادة الإنسانية وأخلاقية القرار الإنساني ولكن ضمن إطار الإلتزام العقائدي.
2- يبقى في منهج الإسلام وعقليته أن موئل القرار النهائي للإنسان يتعلق بإرادته الحرة تسأل وحدها عنه وتجني وحدها آثاره.
3- العقل المسلم والمنهج المسلم جاد ومسؤول ولا مجال للمسؤولية إلا باستكمال السعي الإنساني بشرط القرار الناتج من علم وفحص وتدرب.
4- الاستبداد بفكر الإنسان قضاء على معنى الحياة لا يقبلها منهج الإسلام وأن العقل المسلم يقوم على أساس التزام حق الإنسان في حرية العقيدة والفكر.
5- إذا كان فكر الأمة معافى كانت أقدر على التسامح وإفساح المجال أمام الأفراد والفئات لممارسة حقوقهم في حرية الفكر والعقيدة.

ومن هنا يتبين لنا أن حرية الفكر لها أبعاد محددة، تنطلق فيها ضمن إطار حددت أبعاده الشريعة، فيه ضبط وسيطرة وإحكام، حتى لا يتخبط الفكر الإنساني فيما لا يستطيع أن يحيط به، أوأن يتجاوزه، لما في هذا الأمر من خطر شديد على فكره وإرادته، يمكن أن يدفع به إلى التعب،

والجهد والبلاء، بلا فائدة ترجى، لذلك حدد الشرع هذه الأبعاد رحمة من الله لعباده ودرءا للوقوع في ما لا تحمد عقباه.

المسألة (3) آثار حرية الإعتقاد على الفكر الإنساني:

عندما يمتلك الإنسان حرية فكرية، ينطلق في الأرض بكل ثقة واقتدار، ويعمل ما يشاء بكل جهد ونشاط، بلا خوف أو وجل من أي شيء حوله، مما يعطيه دافعا للعمل، والإجتهاد بكل ما أوتي من قوة وعزم وإرادة. بخلاف حاله اذا كان يشعر بالعبودية، فإن هذا الشعور يخلف في نفسيته الألم والذل والإنحصار والتحسر، فيعيش في الأرض مسلوب الإرادة، مقيد التصرف مقهورعلى العمل سواء رغب بهذا العمل أم لا، فإذا عمل إنما يعمل لسيده فهولا يملك أن يعمل ما يريده هوولا يملك أن يرفض أوامر سيده وهذا ما يفسر قول الله سبحانه وتعالى:﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(النحل:75).

إذن لهذه الحرية آثار ذات أهمية بالغة في حياة الفرد يقتبس منها فكره ومعتقده، بكل ثقة، وقوة وإرادة، فلا يوجد هناك شيء يحبس فكره أو يجبره او يقسره لى اعتقاد ما لا يطيق ومن أهم هذه الآثار:

أولا- إدراك العقيدة الصحيحة:

توجبه القرآن الكريم للفكر الإنساني نحوحرية المعتقد والإختيار، يقود الفكر إلى إدراك العقيدة الصحيحة التي تستقر في نفوس أهلها، ووأصحابها، سالمة من التغير والإنحراف.

و"إذا كان الإنسان حرًا يستطيع أن يفكر ويصل إلى النهاية المرضية إذ يكون حرًا في تدينه وتفكيره يميز بين الأدلة ويعتمد على الأدلة الصحيحة ويطرح الأدلة الخاطئة حتى يصل إلى الصواب ليحيا الإنسان الحياة الكريمة العزيزة منسجمًا مع معتقده ودينه وخاصة إذا كان

الدين هوالحق الثابت المنزل من الله تعالى المحفوظ من التحريف والتبديل المنسجم مع الفطرة والدافع والتصور الصحيح عن الكون والحياة والإنسان"[1].

ثانيا- حرية الرأي:

التوجيه السليم دائما يؤدي إلى نتائج سليمة، والرأي هومغارف العقول، يخرج ما تحتويه. وهو أيضا "الثمرة التي ينتجها الفكر السليم، والإتجاه المستقيم إلى طلب الحقائق وإعلانها، فإن حقائق التكون، ونواميس الإجتماع ووطبائع الأشياء، لا بد من دراستها وإعلانما ينتهي إليه العقل من نتائج فيها، ولا بد أن تكون النتائج حره منطلقة ما دامت في الدائرة العقلية، ولا بد أن يكون إعلان النتائج حرا لا قيد يقيده إلا منع الإعتداء على الغير"[2].

ثالثا- تحقيق الرغبات (حرية العمل والتصرف):

حرية الفكر التي تقود إلى حرية المعتقد، تزيد من قوة إرادة الإنسان، في العمل والتصرف ليحقق لنفسه كثير من الرغبات التي تجتاحها وتحتاجها سواء كانت على المستوى الشخصي أو المستوى العام.

وهذا الشيء من أهم ما يميز إنسانية الإنسان أن يكون حرا في تصرفاته، وحر في اتخاذ قراره، وهذا حق من حقوقه التي اعتنى به القرآن الكريم عناية فائقة لاحظناه من خلال تتبعنا لكثير من الآيات القرآنية التي تنطق بإحترام القرآن لفكر الإنسان وتطلعاته وطبيعته البشرية.

"الحرية والحق عمومًا في الشرعية الإسلامية تكليف قبل كل شيء وأنه الفعل والترك بغية الإمتثال إنه العبادة إنه التخلص من الرغب والرهب إلا في الله إنه يتطلب ليس فقط عدم الإضرار بالآخرين وإنما العمل على نفعهم أيضًا إن الإنسان حين تصح إرادته وقدرته وحريته على هذا النحو يبذل كل شيء حتى ذاته وعن رضى لتكون كلمة الله هي العليا"[3].

---

[1] الزحيلي، محمد، حقوق الإنسان في الإسلام، دراسة مقارنة مع الإعلان العالمي والإعلام الإسلامي لحقوق الإنسان، ص171.

[2]: ابو زهرة، محمد، تنظيم المجتمع المسلم، ص: 194

[3]: قطب، محمد، الإسلام وحقوق الإنسان، دراسة مقارنة، ص:323.

رابعا- بناء الحضارات:

التحرر من القيود الفكرية التي تضمنها حرية الإعتقاد للإنسان تساهم بشكل كبير جدا في خلق الحافز، والإرادة لدى الإنسان للبحث عن التميز، الإبداع، والتقدم في كافة المجالات، وسد أي ثغرة ممكن أن تشكل حائلا بين إرادة الإنسان وأهدافه، وهذا يجعل الأمة الإسلامية في مقدمة الأمم، تستحل موضع الريادة والقيادة. الإزدهار. و"تقاس الأمم بمقدار ما قدمته للمجتمع الإنساني من إبداع وتطور حضاري الذي يساعد على سعادة البشرية فهناك الحضارة اليونانية والحضارة الفارسية والحاضرة الصينية والحضارة الإسلامية لم تقم كل هذه الحضارات لواتصفت بالإستعباد والتسلط والقهر ولكنها اتصفت بالحرية التسامح فقامت فلما ذهبت هذه الصفة ورجعت إلى القهر والظلم زالت فكيف ساعدت الحرية حتى قامت هذه الحضارات"[1].

المطلب الثالث: الحرية في القرآن الكريم

المسألة (1) ألفاظ بمعنى الحرية في القرآن الكريم:

المتتبع للفظ (الحرية) في القرآن الكريم يجد أن هذا اللفظ لم يرد على الإطلاق، وإنما جاء بألفاظ أخرى كالآتي:

1- لفظ (الحر) في موضع واحد في سورة البقرة، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾**(البقرة: 178)**.

2- لفظ (محررا) ورد في موضع واحد في سورة آل عمران، قال تعالى:﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾**(آل عمران: 35)**.

3- لفظ تحرير ورد في ثلاث مواضع في سورة النساء، والمائدة، والمجادلة، قال تعالى: ﴿**وَمَا**

---

[1]: ينظر في ندوة تطور العلوم الفقهية، الدورة الثالثة عشر، الفقه الإسلامي، المشترك الإنساني والمصالح، محور: فقه حقوق الإنسان في الإسلام، لحرية مظهر ممظاهر حقوق الإنسان في الإسلام، الباحث: د. راشد بن علي بن عبدالله الحارثي، 1435هـ/2014م، ص: 75– 79.

كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(النساء:92).

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة: 89).

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(المجادلة: 3).

التفاسير على أن هذه الألفاظ تأتي بمعنى الحرية أي ضد العبودية[1].

المسألة (2) حرية الإعتقاد في القرآن الكريم:

جعل الإسلام حرية الإعتقاد هي الأساس في الإعتقاد وأن يختار الدين الذي يرتضيه من غير إكراه وأن أساس اختياره قائم على التفكر والنظر السليم، وأن يحمي دينه الذي ارتضاه واختاره بمحض إرادته، وحريته، وبذلك تتكون حرية الإعتقاد من عناصر ثلاث:

أولا: تفكير حر غير مأسور بشيء سابق من جنسه أوتقليد.

ثانيا: منع الإكراه على عقيدة معينة، فلا يكره بتهديد من قتل أونحوه.

ثالثا: العمل على مقتضى ما يعتقد ويتدين به[2].

---

[1] : أمهات التفاسير وغيرها من التفاسير.

[2]: مصدر سابق، تنظيم الاسلام للمجتمع، ص: 190.

ولحرية الإعتقاد في القرآن الكريم مكانتها وتأصيلها، مما يجعلها احدى المسلمات، وقد دلت على ذلك آيات القرآن الكريم الواردة بأساليب متعددة لتوجيه الفكر الإنساني توجيها صحيحا، ليهتدي إلى عين الحقيقة، بلا حواجز أو قيود وقد مهد القرآن الكريم لحرية الإعتقاد تمهيدا منسجما مع الفكر الإنساني، مراعيا أبعاده، ومنطلقاته، وماهيته، ومتطلباته، ومراميه، وما يحقق له الإستقرار، والإتزان وذلك من خلال مبدأ التسخير ومبدأ الإستخلاف والنقلة المعرفية، التي سعت سعيا حثيثا للتمهيد إلى حرية الإعتقاد بعد أن حررت الفكر الإنساني من كل القيود والمعيقات والحواجز التي تحول بينه وبين تحقيق حرية الإعتقاد.

المسألة (3) أدلة حرية الإعتقاد:

1- الآيات القرآنية الدالة على حرية الإعتقاد:

لقد تعددت أساليب القرآن الكريم ومنهجيته في الدعوة إلى تحرير الفكر والمعتقد بعد أن فكت القيود الفكرية، ووجهتها الوجهه الصحيحة التي تضمن لها حرية الإعتقاد وفق منظومة فكرية جاده تسير بخطى واثقة لتحقيق الخلافة التي لأجلها خلق الإنسان. وعدد الآيات الكريمة التي أشارت إلى حرية الإعتقاد أوصلها بعضهم إلى مائة آية[1]ومنها:

*** الآيـــة الأولـــى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 256).**

قال الإمام ابن كثير- رحمه الله - في تفسير الشاهد من هذه الآية: "أي؛ لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه، وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقصورا..."[2].

---

[1] : عبد الفتاح، خالد سليم، الحريات في الشريعة الاسلامية، ص: 131

[2] : مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم، ج: 1، ص: 440.

* الآيـــــة الثانيـــــة: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(يونس: 99).

أشار د. سيد طنطاوي- رحمه الله- في تفسير هذه الآية أن الله- ﷻ- ينكر على نبيه حرصه الشديد في دعوة الناس إلى التوحيد، وكأنه يكاد يكرههم على ذلك وإن الله- ﷻ- لو شاء هداية الناس جميعا لهداهم[1].

* الآيـــة الثالثـــة: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ (هود:28).

قال الإمام ابن كثير- رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى مخبراً عما رد به نوح على قومه في ذلك:﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ ﴾أي: على يقين وأمر جلي ونبوة صادقة،وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم {فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ} أي: خفيت عليكم، فلم تهتدوا إليها، ولا عرفتم قدرها، بل بادرتم إلى تكذيبها وردها، {أَنُلْزِمُكُمُوهَا} أي: نغصبكم بقبولها، وأنتم لها كارهون؟[2].

* الآيـــة الرابعـــة: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾(الكهف: 29).

قال الإمام الطبري- رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا، واتبعوا أهواءهم: الحقّ أيها الناس من عند ربكم، وإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال يهدي من يشاء منكم للرشاد، فيؤمن، ويضلّ من يشاء عن الهدى فيكفر، ليس إليّ من ذلك شيء، ولست بطارد لهواكم من كان للحقّ متبعا، وبالله وبما أنزل عليّ مؤمناً، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا،

---

[1] : طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 1988، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مج: 7 ص: 136.

[2] : مرجع سابق، ابن كثير، ج: 2، ص: 645.

فإنكم إن كفرتم فقد أعدّ لكم ربكم على كفركم به نارا أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم به وعملتم بطاعته، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته"[1].

* الآيـة الخامسـة: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾(الزمر: 14- 15).

* الآية السادسة: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾(الكافرون: 1- 6).

قال الإمام الشوكاني- رحمه الله- في تفسير هذه الآية {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}: "(وَلِيَ دِينِ) تقرير لقوله: {وَلاَ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ} في الموضعين، أي: إن رضيتم بدينكم، فقد رضيت بديني.

والمعنى: أن دينكم الذي هوالإشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه إلى الحصول لي، كما تطمعون. وديني الذي هوالتوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه إلى الحصول لكم. وقيل المعنى: لكم جزاؤكم ولي جزائي؛ لأن الدين الجزاء"[2].

وعلاوة على ذلك أبطل القرآن الكريم المعتقدات الفاسدة التي اعتنقها الكثير من الناس بالتقليد الأعمى للآباء، والأجداد، والخضوع لموروثات العادات والتقاليد السقيمة وتقديمها على أنها أصل لا يمكن تجاوزه. مما كان له أثر بالغ في سلب حرية الإنسان وتقيد فكره، وتعطيل عقله وإهماله وعدم إعماله. كما في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴾(الزخرف: 22).

---

[1] : مرجع سابق، الطبري، مج: 15، ص: 264.

[2] : الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، تفسير فتح القدير، الشوكاني، 1992، ط1، دار الخير– بيروت. ج: 5، ص: 600.

وقوله سبحانه:﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾(الزخرف: 23).

ولم يكن هذا التقليد القبلي الأعمى فقط هوالذي يحول بين الإعتقاد وحريته فحسب وإنما ما كانت تمارسه الدول العظمى من الإكراه والتسلط على الشعوب المقهورة ليحملوها على اعتقادات فاسدة بالقوة، والجبروت، والهيمنة، فتضطر إلى ذلك دون فهم أوفكر أونظر.

وهذا ما أشارت اليه الآية الكريمة:﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ (طه: 73).

ومما سبق ذكره في هذا المطلب نخلص إلى مسائل هامة لحرية الاعتقاد في القرآن ومنها:

1- توجيه القرآن الكريم للفكر الإنساني لحرية الإعتقاد، مع نبذ التقليد الأعمى، سبيل الوصول لعقيدة التوحيد.

2- الدعوة إلى حرية الإعتقاد، دعوة إلى تحمل المسؤولية، وتحمل نتائج الاختيار.

3- احترام ظاهرة الإختلاف الفكري بين العقول، بإقامة الحجج والبراهين الساطعة للمعتقد السليم.

4- التحذير من اتباع الهوى، واتخاذ الفكر المنحرف مرجعية يعمل بها ويدعوإليها.

5- مراعاة مبدأ حرية الإعتقاد، قائم على التخلية ثم التحلية.

6- إفساح المجال لأصحاب العقول المنحرفة للتعبير عن آرائهم، والعمل على إقناعهم.

7- ترسيخ مبدأ الحرية الفكرية وتوجيهها نحوالانفتاح، والتحضر، سبيلا لتصفية كل مظاهر الشرك، والتخلف، والتقليد.

8- التأسي بالمنهج الصحيح، الثابت، قائمة على اتباع منهج الأنبياء والرسل.

9- إقرار حق حرية الرأي المخالف، وإفساح المجال لمحاورته ومناقشته بالتي هي أحسن.

10- حرية الإعتقاد في القرآن الكريم، قائمة على أسس وضوابط ثابته، لا خلل فيها ولا اعوجاج لأنها ربانية المصدر.

2- سنن الأنبياء:

الدليل الثاني على حرية الإعتقاد في القرآن الكريم نجده عند تتبع الآيات الكريمة التي تتحدث عن سير الأنبياء والمرسلين في دعوتهم أقوامهم، للدخول في الإسلام، نجدها قائمة على الحوار والمناقشة وإقامة الحجج والبراهين مؤيده بالمعجزات الإلهية لمحاولة إقناع الطرف الآخر، ولم تكن بالإكراه أوالجبر.

وقد نطقت الآيات الكريمة بهذا الدليل الساطع على حرية الإعتقاد في القرآن الكريم وفيها توجيه من الله- ﷻ- إلى أنبيائه يخط لهم فيها منهج الدعوة إلى الله- ﷻ- كيف يكون، منها:

يقول الله- ﷻ-﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾**(النحل: 125)**.

فسرالإمام الرازي- رحمه الله- هذه الآية بقوله: "اعلم أنه تعالى لما أمر محمداً-ﷺ- بإتباع إبراهيم ﷺ، بين الشيء الذي أمره بمتابعته فيه، فقال:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾.

واعلم أنه تعالى أمر رسوله أن يدعوالناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الأحسن، وقد ذكر الله تعالى هذا الجدل في آية أخرى فقال:﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾**(العنكبوت: 46)** [1].

ويقول سبحانه في آية أخرى لنبيه-ﷺ-:﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾**(الكهف: 29)**

يقول الإمام الرازي- رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "هذه الآية من أقوى الدلائل على صحة قولنا وذلك لأن الآية صريحة في أن حصول الإيمان وحصول الكفر موقوف على حصول مشيئة الإيمان وحصول مشيئة الكفر وصريح العقل أيضاً يدل له، فإن العقل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد إليه وبدون الإختيار له. إذا عرفت هذا فنقول حصول ذلك القصد والإختيار

---

[1] : المرجع السابق، الرازي، مج: 7، ص: 286.

إن كان بقصد آخر يتقدمه واختيار آخر يتقدمه لزمه أن يكون كل قصد واختيار مسبوقاً بقصد آخر إلى غير النهاية وهومحال. فوجب انتهاء تلك القصود وتلك الاختيارت إلى قصد واختيار يخلقه الله تعالى في العبد على سبيل الضرورة عند حصول ذلك القصد الضروري والإختيار الضروري يوجب الفعل، فالإنسان شاء أولم يشأ إن لم تحصل في قلبه تلك المشيئة الجازمة الخالية عن المعارض لم يترتب الفعل، وإذا حصلت تلك المشيئة الجازمة شاء أولم يشأ يجب ترتب الفعل عليه، فلا حصول المشيئة مترتب على حصول الفعل، ولا حصول الفعل مترتب على المشيئة"[1].

ويقول سبحانه أيضا:﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (ق: 45).

قال الطبري في تفسير هذه الآية: "إن معنى قوله:﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ ﴾لم تُبعث لتجْبُرَهم على الإسلام، إنما بعثت مذكّراً، فذكّر".

ويقول سبحانه:﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾(الغاشية: 21- 22) [2].

قال الإمام الطبري- رحمه الله- في تفسيره هذه الآية:يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {فَذَكِّرْ} يا محمد عبادي بآياتي، وعظهم بحججي، وبلّغهم رسالتي﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴾يقول: إنما أرسلتك إليهم مذكراً، لتذكرهم نعمتي عندهم، وتعرّفهم اللازم لهم، وتعظهم. وقوله:﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾يقول: لست عليهم بمسلّط، ولا أنت بجبار، تحملهم على ما تريد[3].

وعند تتبع قصص دعوة الأنبياء أقوامهم في القرآن الكريم يتضح لنا بشكل واضح جدا أن الدعوة إلى الاسلام لم تكن قسرا أوإجبارا وانما كانت تكفل حرية الإعتقاد للناس فمن شاء أن يؤمن آمن ومن لم يشأ الإيمان لم يؤمن قال تعالى:﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ

---

[1]: مرجع سابق، الرازي، مج: 7، ص: 458، 459.

[2]: مرجع سابق، الطبري 310 ت، مج: 13، ص: 237.

[3]: المرجع نفسه، مج: 15، ص: 182.

فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾(الكهف: 29)

وفي آية أخرى يقول سبحانه:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(القصص: 56).

3- حرية الإعتقاد في دعوة الأنبياء لأقوامهم:

* دعا هود- عليه السلام قومه إلى عبادة الله- عز وجل- وحين رفضوا قال:﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾(الأعراف: 71).

* ودعا شعيب- عليه السلام- قومه أيضا إلى عبادة الله وحده رفضوا فقال لهم:﴿ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (الأعراف: 87).

* وحين توعد فرعون موسى- عليه السلام -، بقتل الأبناء واستحياء النساء، قال له:﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: 128).

لو كان الإعتقاد قسرا وجبرا وإكراها لأكره نوح- عليه السلام- زوجته وابنه على الدخول في الإسلام، ولكن بالرغم من مناشدته إياهم ودعوته لهم إلا أنهم اختاروا أن يبقوا على الضلال والشرك بمحض إرادتهم ولم يدخلوا في هذا الدين، كذلك ابراهيم - عليه السلام - بالرغم من محاولاته الحثيثة في دعوة أبيه أن يؤمن بالله- عز وجل- إلا أنه أبى واستكبر واختار الضلال على الهدى. وأيضا لوط- عليه السلام- آمن معه أهل بيته الا زوجته، ومع ذلك لم يكرهها على اعتناق التوحيد وبقيت على

الشرك والضلال. هذه اللمحة الموجزة عن حال بعض الأنبياء مع أهلهم وأقوامهم تعطينا تصور كامل أن أصل الإعتقاد يكون بمحض حرية الفرد لا بالإكراه والقسر والإجبار[1].

المطلب الرابع- مبادئ حرية الإعتقاد وضوابطها (1) :

أولاً- الحرية المطلقة والحرية المقيدة:

إن الحرية في المنظور الإسلامي ذات ضوابط معينة وشروط محددة، تكفل حماية الفرد والمجتمع من عبث العبثين وفساد المفسدين، وتجعلهما في احسن حال، وتضمن لهم الأمن والسلامة والإستقرار. والحرية المطلقة لا تكون إلا لله- ﷻ- الذي يتصرف في الكون كما يشاء ويدبره كما يريد، قال تعالى:﴿ **أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾**(الأعراف/54)**، وقال تعالى:

﴿ **تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾**(البقرة: 253).**

ومن هنا يتبين لنا إن الحرية المطلقة مستحيلة على الإنسان، وغير ممكنة، لأن الإنسان محدود القدرة والطاقة والإرادة، ويشاركه بقية الناس الحياة من جهة أخرى، لذلك وجب على هذه الحريات الجماعية أن تكون منضبطة ومحددة ومحصورة. حتى تحقق أهدافها،وتجني ثمراتها، ويحيى أفراد هذه الأمة بسلام وأمن وأمان.

ثانياً- انتهاء حرية الشخص عند بدء حرية الآخرين:

إن لكل فرد في المجتمع حقوق وعليه واجبات، والحرية تعني مراعاة حقوق الآخرين وعدم تجاوزها. فالإنسان مدني الطبع، واجتماعي بفطرته، يعيش مع الناس ويشاركهم في حياتهم وظروفهم، فعليه أن يراعي حقوقهم، ويحترم حريتهم، حتى لو اختلف عنهم في المذهب والمشرب. إذن حقوق حرية الإعتقاد مكفولة لمن اعتنق الدين الإسلامي، ولمن تخلف عنه إلى

---

[1] : ينظر في مصدر سابق، الحريات في الشريعة الاسلامية مقارنة بلإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ص: 132.

دين آخر. وهنا تجتمع المبادئ الأساسية التي تجمع كل المعتقدات على اختلاف مذاهبها ومشاربها، وهذه الحرية تميز هذا الشرع الحكيم عن غيره، وربما كانت دافعا لأصحاب المعتقدات الفاسدة أن تذعن وتعترف وتعتقد بالعقيدة الصحيحة.

ثالثاً- تقييد الحرية بالأنظمة:

إن الأنظمة التي شرعت لتنظيم حياة الأفراد والجماعات، تكفل مساحات واسعة لممارسة الأفراد والجماعات حقوقهم في مجتمعهم، مع ضمان الأمن، والإستقرار والرخاء والإزدهار لهم، وانتشار روح الأخوة، والألفة، والمحبة بينهم. لذلك وجب على الأمة أن تلتزم بالقوانين والأنظمة التي تنظم حياة الأفراد والجماعات وترعى المصالح الخاصة والعامة التي تضمن حرية الفرد بشكل عام وحرية الإعتقاد بشكل خاص.

رابعاً- المساواة والتوازن في الدعوة الدينية:

إن المساواة والتوازن في تطبيق الدعوة الدينية، يعكس صورة إيجابية لهذه العقيدة السمحة مما يشكل سببا من أسباب جذب أصحاب المعتقدات والأفكار والفلسفات الوضعية إلى هذا الدين السمح وفي نفس الوقت لا يحجر على أي معتقد يخالف العقيدة الصحيحة بحجة الإنتصار إلى هذا الدين والدفاع عنه، بل على العكس تماما يكفل حرية الإعتقاد لكل إنسان ويصبح لكل فرد من أفراد المجتمع الواحد حقوقه وواجباته حتى لواختلفت العقيدة بينهم، وهذا زيد من قوة هذا الدين، وأثره في حياة الفرد المسلم وغير المسلم.

خامساً- الإعتدال في الدعوة الدينية:

الإعتدال والتوسط منهج قامت عليه العقيدة الإسلامية، ودعت إليه، لما له من أثر عظيم في توجيه الفكر الإنساني، واستقامته، فلا تسمح بالغلووالتشدد أوالإفراط والتفريط، مهما كانت الدوافع والبواعث إلى ذلك. قال تعلى:﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾(البقرة: 143).

سادساً- عدم السماح بالردة:

إن حرية الإعتقاد لا تسمح لمن دخل الإسلام واعتقد الإعتقاد الصحيح بالخروج عن الإسلام وهديه أوالرجوع عنه بالإرتداد إلى غيره، لذا شرع حكم المرتد ويطبق عليه حد الردة، وقد أجمع السادة الفقهاء أن حكم المرتد القتل، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴾**(سورة البقرة:217)**.

سابعاً- الالتزام الكامل بالأحكام الشرعية القطعية:

الإلتزام الكامل بالأحكام الشرعية واجب شرعي على كل مسلم بلغ حد التكليف الشرعي، ولا يجوز المساس بالأحكام الشرعية مطلقا، فهي أحكام ثابتة، شاملة، عامة، غير قابلة للتعديل أو التبديل أوالتغير.

ثامناً- مراعاة حقوق الإنسان:

اعتنت الشريعة الإسلامية بحقوق الإنسان، ودعت إلى مراعاتها والحفاظ عليها، وهذا يؤكد فيها قيمة الإنسان، وكيف تصان حقوقه وتصان كرامته، وتراعى مصلحته[1].

ومن الآيات القرآنية الكريمة التي جاءت تحث على حقوق الإنسان الآتي:

﴿ **وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ **(البقرة: 233)**.

---

[1] : ينظر في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية- المجلد 27- العددالأول- 2011، الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية أبعادها وضوابطها، الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي، ص: 393-397، بتصرف.

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾

(النساء: 2)(1).

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾**(الاسراء: 23)**.

المطلب الخامس- أبعاد حرية الاعتقاد في الإسلام:

أ- قرر الإسلام حرية الإنسان في اختيار العقيدة التي يؤمن بها، فله أن يعتنق عقيدة التوحيد وله أن يبقى على يهوديته أو نصرانيته أومجوسيته، وللفكر الإنساني وحده ملكية هذا الاختيار بدون تدخل من مؤثر داخلي أو خارجي لقسره على اختيار عقيدة معينة أوإجباره على اعتناق فكر معين[1].

ب- للإنسان الحرية في ممارسة طقوس وشعائر عقيدته التي يعتقد بها.

ج- لا يحق لأحد من الناس أن يذم عقيدة وشعائر غيره من الناس بل يجب عليه احترامها، وعدم الإساءة لهم.

د- إلزام صاحب العقيدة بالعمل على حماية عقيدته واحترامها فلا يحق للمسلم بعدما اختار عقيدة الإسلام أن يترك هذه العقيدة أوأن ينكر ما علم منها بالضرورة.

هـ- البلوغ والعقل شرط من شروط الإسلام حتى يكون هذا الشخص أهلاً لاختيارعقيدته.

بناءا على ما تقدم ذكره يتبين لنا أن حرية الإعتقاد حق تكفل بها الشرع، فجعله مطلقا لكل البشر، ولا سبيل لأي قوة أوسلطة أن تصادر هذا الحق وتمنع صاحبه منه، أو تحول بينه وبين

---

[1] : د. الحارثي، راشد بن علي، ندوة تطور العلوم الفقهية، الدورة الثالثة عشر، الفقه الإسلامي والمشترك الإنساني والمصالح، 1435هـ/2014م، ص:13، بتصرف.

اعتقاده أو ممارساته، فكل إنسان حر في فكره ومعتقده وقناعاته، ومع ذلك فإن لهذه الحرية ضوابط معينة تحكم لجامها حتى لا يتهور صاحبها فتؤدي به إلى المهالك.

"والحرية بعد هذا هي العنوان البارز للعدالة والإخاء والمساواة التي تربط أجزاء المجتمع بأوثق الروابط من محبه وألفه وتعاون"[1].

[1] : مصدر سابق، المجتمع الاسلامي دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم، ص: 177.

المبحث الخامس

توحيد الخالق

التمهيد:

كان ظهور هذا الكتاب الحكيم بمثابة نقطة تحول مركزية في الفكر الإنساني، فقد جاء فيما يتعلق بالألوهية بمفهوم مخالف لما كان سائدا في تلك الحقبة من الزمن، الأمر الذي أحدث هزة عنيفة في مسار توجيه هذا الفكر، وتحوله من نقطة التقليد الأعمى وخضوعه لمعتقدات راجت عملت على تقييد الفكر واستسلامه لتلك الأوهام والخرفات السقيمة، إلى تحرير هذا الفكر وانطلاقه بعدما سخر له هذا الكون وجعله الله- سبحانه- سيدا متفردا في خلافة هذه الأرض، جاء هذا الكتاب يوجه الفكر الإنساني بالنظر والتدبر والتأمل في هذا الكون ليكون معتقده راسخا مبنيا على المعرفة الحقة، فجعل موضوعات العقيدة قائمة على الإستدلال والبرهان عن طريق الحس، والعقل، والوحي، وبهذا يتحقق المنهج العلمي المتكامل الصحيح.

والقرآن حين جاء بأفصح لسان وأرفع بيان، جاء ليوجه هذا الفكر من نقطة البداية لإثبات قضية توحيد الخالق سبحانه المبنية على النظر الواعي في كتاب الله المنظور وكتابه المسطور. ويؤخذ من حشود الآيات الكريمة التي جاءت تدعوإلى التفكر، والنظر، والتدبر، والتفقه، والتعقل، والإعتبار، أن الإقرار بتوحيد الخالق قائم على العلم والمعرفة وأن الشرك ثمرة الجهل والتخلف والتقليد المعيب.

على أساس هذه العناية الحكيمة من القرآن الكريم بتوجيه الفكر الإنساني، حدث الإنسجام بين الفطرة، التي تقر بوجود إله لهذا الكون، وخالق له مهما اختلفت التسميات والدعوات إليه والعقل، حيث لم يترك القرآن الفطرة بلا دليل يوجهها، فخاطب الفكر الإنساني ودعاه إلى النظر في كل ما في هذا الكون من سنن ومخلوقات.

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ **(الاعراف: 185)**.

وهذا الأسلوب يناسب العامة كما يناسب الخاصة مع اختلاف في درجة التأثر والإستيعاب والإستجابة.

وبهذا الخطاب القرآني الموجه لإيقاظ العقل واستنهاضه للفكر يصل الإنسان بذلك إلى اليقين بتوحيد الخالق، وأن لهذا الكون إلها مدبرا له، ومسيطرا عليه، وأن مالك هذا الكون واحد لا ثاني له، ولا ند له ولا شريك، وبالتالي يقوده الفكر إلى تصديق كل ما دعا إليه القرآن الكريم.

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾(الفرقان:61).

إذن "تآخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس، وعلى لسان نبي مرسل، وتقرر بين المسلمين، وأن من قضايا الدين ما لا يمكن اعتقاده إلا من طريق العقل، كالعلم بوجود الله وقدرته على إرسال الرسل، وعلمه بما يوحي إليهم، وغير ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة، كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشيء قد يعلوعلى الفهم فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل"[1].

وهنا تبرز أجل الغايات التي قصدها القرآن الكريم من توجيه الفكر الإنساني، ليكون هذا الفكر بمثابة المنارة التي تكشف له ما حوله، من إبداع في هذا الكون وتعرفه على خالقه وخالق كل شيء، ومن ثم تقوده إلى الحقيقة الكبرى، حقيقة توحيد الخالق.

المطلب الأول- كلمة التوحيد: معناها، شروطها:

(لا إله الآ الله) كلمة التوحيد، جمعت الإيمان واحتوته، وهذه الكلمة عنوان الإسلام وأساسه.

معناها: لا معبود يستحق العبادة إلا الله سبحانه.

---

[1] : السائح، عبد الحميد، عقيدة المسلم، ص: 49- 50.

شروطها[1]:

1- العلم بمعناها. قال تعالى:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ **(محمد: 19)**.

2- اليقين التام بها:بأن يكون المسلم مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما لا يشوبه شك، فأن الإيمان حقيقته اليقين لا الظن.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾**(الحجرات: 15)**.

3- القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، والرضى، بم اقتضته من أحكام وشروط والانقياد والتسليم لما دلت عليه. كما قال تعالى:﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ **(الزمر: 55)**

4- الصدق: وهوان يقولها صادقا من قلبه ويواطئ قلبه، وبيان ذلك قوله تعالى:

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾**(لقمان: 22)**.

5- الإخلاص في القول والعمل: وهوتصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك ودرنه. ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾

(البينة: 3- 5).

6- المحبه: لكلمة التوحيد ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها

---

[1] : الأشقر، د.عمر، العقيدة في الله، ص: 256- 259 بتصرف.

وبغض ما نقض ذلك. قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ **(البقرة: 165)**.

المطلب الثاني- الفكر وتوحيد الخالق:

أعلن القرآن الكريم ومنذ بداية التنزيل فكرة توحيد الخالق سبحانه وتعالى حيث كانت الآيات الأولى تشير إلى ذلك (اقرأ)، وبذلك وجه الفكر الإنساني نحوهذه القضية التي كانت مغيبة قبل عصر التنزيل، لما ساد في تلك الفترة من خرافات وترهات وأوهام ومعتقدات ما أنزل الله بها من سلطان.

ولهذا أهمية في توجيه الفكر الإنساني، بإرساء قواعد التفكير السليم وتنقية الذهن، وتحديد نظرة فكرية صحيحة لحقيقة وجود الإنسان في هذه الأرض، وحقيقة الكون، والحياة، الأمر الذي يلعب دورا مهما في علاقة الإنسان بربه ونفسه والكون. ففي الشرك مثلا يقع الفكر أسيرا للانحراف العقدي، ويربطه بفكر زائف لا أصل له، ولا فائدة منه، مما ينأى بالإنسان عن الاستقامة في كل ما يفكر فيه ويعتقده وبكل ما يفعله ويحيا لأجله، أما بالنسبة إلى جهل الإنسان بخالقه وخالق هذا الكون، فهذا يؤدي بالإنسان أن يكون أسيرا لمخلوق مثله لا حول ولا قوة له، مثل أن يكون أسيرا للشمس أو الكواكب أوالاصنام والأوثان التي لا تنفع ولا تضر، فيشعر طول عمره بالخوف الشديد من هذه المخلوقات، التي يقدم لها الولاء والطاعة، بلا فائدة ترجى وبلا نتيجة تحمد.

من هنا فان للتوجيه القرآني دورا مهما في تقويم الفكر الإنساني وتنشيطه في كافة المجالات، سواء كانت القلبية والنفسية مثل العقيدة أوالعملية مثل العبادة، والعمل وبمعنى آخر يؤدي واجبات الخلافة في الأرض التي لأجلها خلق هذا الإنسان في هذه الأرض، وبالتالي يتحرر الفكر الإنساني من أي ضغط يسيطر عليه بشكل مباشر أوغير مباشر، وهذا يزيد من قدرة الإنسان وتفاعله في إعمار الارض، وخلافتها.

لذا فتح القرآن "الآفاق أمام حرية الفكر والتخلص من الصورة والصنم والأسطورة وتأليه الملوك والقياصرة، والتوحيد اعترف بأن الله هوالحاكم والمشرع والمنظم لحياة البشر وعلاقاتهم

وارتباطاتهم بالكون والأحياء والناس، وقد اتسم الإسلام بأنه الدين الوحيد الذي صفت فيه عقيدة الوحدانية من شوائب الشرك، فالإله في عرف اليهود إله قومي لهم وحدهم دون غيرهم من الأمميين وفي عرف الآخرين متعدد، والتوحيد بمفهوم الإسلام يطهر العقل ويحرر النفس من جميع الأوهام فهو بقيامه على أساس أن الله وحده خالق الكون لا يترك مجالا للاعتقاد بقدرة أي كائن من الكائنات[1].

المطلب الثالث- القرآن الكريم كله مقرر لهذا التوحيد:

تضافرت آيات القرآن الكريم لبيان دلالاته على أنواع التوحيد، وفي بيان ذلك قال الإمام ابن القيم- رحمه الله- أن التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه تشير إلى نوعين من التوحيد وهما أولهما: توحيد في المعرفة والإثبات (توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات):

هوحقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وعلوه فوق سماوته على عرشه، وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه[2].

ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد:

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ

---

[1]: الجندي، د. أنور، معلمة الاسلام، ج1، ص: 49.

[2] : البدر، عبد الرازقبن عبد المحسن، الجامع للبحوث والرسائل، 1425هـ، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع- الرياض، ص: 18.

"إن كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإداري الطلبي، وأما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرههم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب". المصدر نفسه، ص: 18- 19.

ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(آل عمران: 1- 6).

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾(طه: 8)﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (الحشر: 24).

النوع الثاني- توحيد في الطلب والقصد:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(الاعراف: 54).

﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾(الرعد: 16).

قال تعالى:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ (محمد: 19).

المطلب الرابع- خصائص أدلة التوحيد القرآنية:

أُنزل القرآن الكريم محكا، معجزا، مجملا، مفصلا، يقيم الحجج والبراهين والأدلة ببيان واستدلال راق جدا، لا تشوبه شائبه، ولا يعتريه نقص أووهن، ومن خصائص أدلة التوحيد في البيان والاستدلال الآتي:

• **التأثيرفي القلوب، والإقناع للعقول[1]:**

المتتبع للأدلة القرآنية يجد أنها جمعت بين هاتين الخصيصتين معا، تأثير في القلب، وإقناع للعقل. فلا تتلو دليلا من أدلته إلا وجدته يَنْفَذُ إلى أعماق قلبك ويُقْنع عقلك بما لا يدع أدنى حيرة أوشك فيه.

يقول الغزالي- رحمه الله- واصفا الأدلة القرآنية: "وحجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب، المقنعة للنفوس، دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس"[2].

• **الإحكام والإحاطة.**

تتسم أدلة التوحيد بالإحكام والإحاطة بالقضية المراد إثباتها، وذلك بإقامة الدليل القطعي اللازم لإثبات القضية- توحيد الخالق- أوغيرها من القضايا التي دعا إليها القرآن الكريم، فلا تدع للفكر الإنساني منفذا يستطيع من خلاله أن ينفذ للتشكيك أولإبطال ما يثبته القرآن، فلا يملك بعد ذلك إلا التسليم والإذعان لما دعا إليه القرآن، والإنسان بتسليمه هذا وإذعانه لما دعا إليه القرآن يصل إلى الشعور بالأمن الفكري الذي يجعله ينطلق في هذه الحياة ثابت الخطى راسخ القدمين نحوالخلافة في هذه الأرض.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ (الشعراء: 26).

---

[1] : رسالة ماجستير، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، اعداد الطالب: مجاهد محمود أحمد ناصر، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، 2003م ، ص: 121.

[2] : المصدر نفسه، نقلا عن الغزالي، قواعد العقائد، تحقيق: مرسي نصر، ط2، بيروت، دار عالم الكتب، 1985م، ص: 110.

- **عميقة المغزى، متسعة الدلالة.**

جاءت أدلة إثبات قضية توحيد الخالق في القرآن الكريم ذات مغزى وهدف محدد المعالم، لا وهم فيه ولا وهن، ومع ذلك اتسم بسعة دلالته وامتداد مراميه ليسع أفق الفكر الإنساني بكل أبعاده، حتى يجد هذا الفكر ما يرنوإليه في أصل علاقته مع خالقه، وعلاقته مع الكون.

﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

(المؤمنون: 91).

- **قدرتها على مواكبة تجدد المفاهيم وقابليتها لإحتواء الفكر الإنساني في كل عصر.**

هذه الخاصية التي اتسمت بها الأدلة القرآنية في إثبات قضية توحيد الخالق لا نجدها تتوقف عند زمن معين أوعصر معين بل جاءت تحاكي كل زمان وكل مكان على اختلاف أنماط التفكير الإنساني باختلاف المشارب والمذاهب التي تشكل الفكر الإنساني. وهذا ما ميز هذا المنهج الرباني عن سائر المناهج الوضعية الهالكة وهذا ما جعل هذا الكتاب الرباني يكتسب هذه السمة، لذا كان هذا الكتاب المحكم خاتم الكتب وكانت هذه الرسالة العالمية خاتمة الرسائل.

- **تحقق التوازن والاعتدال بين النقل والعقل.**

اشتمل القرآن الكريم على كثير من الأدلة البرهانية وأوجه الإستدلال المختلفة والمتنوعة التي تحقق التوازن والإعتدال بين الفكر الإنساني، والدليل نفسه، وهذا ما يحقق الإنسجام والتوافق بين النقل والعقل السليم وتطوره الفكري.

- **أنها أدلة متكاملة.**

جاءت أدلة التوحيد متكاملة في مضمونها وفيما تحتويه من أوجه الإستدلال، مراعية الفطرة الإنسانية، والخوالج النفسية التي تعتري الإنسان في مختلف أحواله ومستخدمة المدركات الحسية للإنسان ومخاطبة للعقل وموجهة للفكر بعناية وحكمة، مما يؤثرعلى نمط التفكير الإنساني ويكسبه الإيجابية ويحرره مما يمكن أن يشوبه من أوهام وخرافات وغير ذلك.

- **العمومية والشمول.**

تتسم هذه الأدلة بالعمومية أي أنها عامة لكل البشر، الذكر منهم والأنثى والكبير والصغير، العالم والجاهل. وشاملة لكل القضايا التي جاء يدعوإليها الشرع القويم، فنجد أن الدليل الواحد يبحث أكثر من قضية، مثل التوحيد مع الخلق، التوحيد مع البعث، الخلق مع البعث، الخلق والحقائق العلمية، والتوحيد وإبطال الشرك ونبذه وغير ذلك من القضايا والمسائل.

في إثبات الخلق والإعادة والبعث قال تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾(الاسراء: 99).[1]

قال سبحانه:﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾(يس: 79).

وفي إثبات القرآن:﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾(النحل: 103).

---

[1] الآية الجامعة لأقسام التوحيد الثلاث: قال تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾(مريم: 65).ويقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في تفسيره مبيناً دلالة الآية على ذلك: "... اشتملت (أي الآية) على أصول عظيمة على توحيد الربوبية وأنه تعالى رب كل شيء وخالقه ورازقه ومدبره وعلى توحيد الألوهية والعبادة وأنّه تعالى الإله المعبود وعلى أنّ ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده ولهذا أتى فيه بالفاء في قوله: (فاعبده) الدالة على السبب أي فكما أنّه ربّ كل شيء فليكن هوالمعبود حقًّا فاعبده ومنه الاصطبار لعبادته تعالى وهو جهاد النفس وتمرينها وحملها على عبادة الله تعالى فيدخل في هذا أعلى أنواع الصبروهوالصبر على الواجبات والمستحبات والصبر عن المحرمات والمكروهات بل يدخل في ذلك الصبر على البليات فإن الصبر عليها وعدم تسخطها والرضى عن الله بها من أعظم العبادات الداخله في قوله: (واصطبر لعبادته). واشتملت على أن الله تعالى كامل الأسماء والصفات عظيم النعوت جليل القدر وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولاسمي بل قد تفرّد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات". البدر، عبد الرزاق المحسن، الجامع للبحوث والرسائل، 2005، ط1، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ص: 17، نقلا عن المواهب الربانية من الآيات القرآنية، ص: 44- 45.

ففي إثبات الوحدانية الله تعالى:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾(الأنبياء: 22).

المطلب الخامس- أساليب القرآن الكريم في توجيه الفكر الإنساني إلى قضية توحيد الخالق:

من خلال استقرائنا للآيات الكريمة التي تحدثت عن توحيد الخالق لاحظنا تنوع أساليب القرآن الكريم في إثبات هذه القضية، وهذا التنوع يشير إلى أهمية هذه القضية، بأبعادها الثلاث، أهمية المخاطب (الله- ﷻ-) وأهمية المخاطب (الإنسان) وأهمية الخطاب (الرسالة)، لذلك ركزت الدعوة في القرآن الكريم إلى توجيه الفكر الإنساني إلى هذه القضية بأساليب مختلفة ومنوعة ومحكمة، الغرض منها الإحاطة بكل ما يمكن أن يكون ثغرة، ينفذ من خلالها الوهن والضعف إلى الفكر الإنساني، فتؤثر سلبا على توجيهه، ويكأن هذه التنوع أحاط بكل منافذ الفكر، ودهاليزه كما يحيط السوار بالمعصم. فلا يخترق هالته متملق أومتسلق كائنا من كان، فهذا الكتاب "الذي تقوم به المعالم وتثبت الدعائم فهوالعصمة الواقية والنعمة الباقية والحجة البالغة والدلالة الدامغة وهوشفاء الصدور والحكم العدل عند مشتبهات الأمور وهوالكلام الجزل والفصل الذي ليس بحزن، سراج لا يخبوضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وثناؤه، وبحر لا يدرك غوره"[1].

فجاءت الأحرف الأولى من التنزيل تدعوإلى توحيد الخالق سبحانه، في زمن تفشى فيه عبادة الأوثان والأصنام، على لسان نبي أمي- عليه الصلاة والسلام- إلى قوم أميين، لينير به العقول ويفحم به الفحول، ويهديهم إلى مراميه، ويعجزهم بحسن بلاغته "وحسن ارتباط أواخره وأوائله وبديع إشاراته وعجيب انتقالاته من قصص باهرة إلى مواعظ زاجرة وأمثال سائرة وحكم زاهرة وأدلة على التوحيد ظاهرة"[2].

"وإنما يفهم بعض معانيه ويطلع على أسراره ومبانيه من قوي نظره واتسع مجاله في الفكر وتدبره وامتد باعه ووقت طباعه وامتد في فنون الأدب وأحتفظ بلغة العرب[3].

قال تعالى:﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (البقرة: 269).

---

[1] : الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 21.

[2] : الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 22.

[3] : المرجع نفسه، ج 1، ص: 23.

ومن هذه الأساليب التي جاءت تحمل دليل وحدانية الخالق وتقرره الآتي:

المسألة (1) الأساليب البلاغية:

الأساليب البلاغية:

من الأساليب القرآنية في تقرير التوحيد والدعوة إليه، الأساليب البلاغية، ولقد تفنن القرآن الكريم في عرض هذه الأساليب وتنوع فيها، حتى جاء الدليل الواحد في إثبات هذه القضية يحوي أكثر من اسلوب بلاغي، مما أثرى هذا الدليل وجعل له قوة وسلطان مكين في توجيه الفكر الإنساني، بما احتواه هذا الدليل من فصاحة وبلاغة لا يضاهيه شيء من صنع البشر.

ومن هذه الأساليب البلاغية نذكر الآتي:

1- اسلوب النداء:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ **(فاطر: 3)**.

يقول الامام ابن كثير- رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق، فكذلك فليفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان، ولهذا قال تعالى:﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾؟ أي: فكيف تؤفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان؟"[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾**(البقرة: 21)**.

2- أسلوب الخبر:

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾

(الانعام: 102).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾

(الاعراف: 11).

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 29).

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾(الانعام: 2).

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(الإنعام: 101).

3- التوكيد:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(البقرة: 164).

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(آل عمران: 190).

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الاعراف: 54)

4- التأكيد بأساليب القصر:

كأسلوب النفي والإستثناء في قوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا ﴾**(طه: 14)**. وأسلوب القصر بإنما: ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾**(الأنعام: 19)**. وأسلوب القصر بالتقديم والتأخير. مثل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾**(الفاتحة: 5)** فتقديم المفعول إياك أفاد قصر العبادة على الله وحده، وأصل الجملة: نعبدك. وكذلك أيضًا أسلوب القصر بتعريف طرفي الجملة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ **(الشورى: 10)** فتعريف الخبر ربي أفاد أنه مقصور على المبتدأ، أي: الربوبية مقصورة على الله تعالى. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾**(الفاتحة: 5)**.

5- الاستفهام الإنكاري:

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ **(النمل: 63)**.

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾**(الاعراف: 185)**.

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾**(الاعراف: 191)**.

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾**(النحل: 17)**.

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾**(الملك: 14)**.

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾ **(النازعات: 27)**.

المسألة (2) أسلوب الإستدلال العلمي:

إستدلال القرآن على قضية توحيد الخالق بآيات الله في الأنفس والآفاق، مما يعطي دلائل عقلية تشير إلى حقائق علمية واضحة وصريحة تنطق مفصحة عن قدرة الخالق سبحانه وتفرده في الخلق، فمن الآيات جاءت مفصلة، مثل آيات خلق الإنسان، وآيات جاءت مجملة، مثل آيات خلق الكون والحيوانات والنباتات ودلالة ذلك على وجود خالق متفرد بالخلق، حكيم عليم بخلقه. وهذه الحقائق العلمية التي زخر بها القرآن الكريم كان لها أثر بالغ وقوي في دخول كثير من العقول العلمية صرح هذا الدين، عن قناعة وإذعان دون خجل أوتقليد.

وحشود الآيات الكريمة التي توجه الفكر الإنساني بالأسلوب العلمي كثيرة ونذكر منها: قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ **(الحجر: 26- 27)**. قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ **(الحجر: 28)**.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ **(الحج: 5)**. وقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ **(المؤمنون:12- 14)**.

المسألة (3) أسلوب القصة:

هذا الأسلوب من أكثر الاساليب تأثيرا على الفكر الإنساني، حيث يتأثر به الكبير والصغير والعالم والجاهل على حد سواء، مع اختلاف في مستوى الفهم والاستيعاب للمضمون والمغزى من هذه القصص. والقصص في القران الكريم هوبمثابة اعلام حي يثير الفكر ويدعوه للنظر والتدبر والاعتبار بأحوال الناس سواء كانوا من الموحدين أوالمنكرين للتوحيد. ففيه بيان ان الحجة ليست وحدها ممكن ان تكون سببا لهداية الناس بل استخلاص العبر مما سبق من الأحداث التاريخية يعد أيضا سببا قويا ومؤثرا لهداية الناس، لذلك بين الله ﷻ ان هذا القصص انما هوالقصص الحق وان فيه عبرة لِّأُولِي الْأَلْبَابِ، فكان ما فيه من أخبار أوقصص عامل فعال في هداية الناس وخروجهم من الظلمات إلى النور.

وقصص الأنبياء التي زخرت بها الآيات القرآنية خير دليل على أن هذا الدين ليس بمستحدث، ظهر في زمن المصطفى- ﷺ- فقط بل كانت دعوة التوحيد هي دعوة جميع الأنبياء والرسل منذ آلاف السنين ولم تكن بدعه ابتدعها خاتمهم- عليه الصلاة والسلام- وهذا بحد ذاته دليل قوي يثبت أصالة هذه الدعوة ورسوخها على الرغم من كل الصعوبات والمواجهات العنيفة التي وقفت ضدها ولكنها لآنها مؤيده من الله- ﷻ- ثبتت وحفظت من أي تحريف أوضياع، إنها عقيدة التوحيد الخالدة.

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ
الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ❁ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي
سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا
بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي
الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾

فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ **(الصافات: 75-113).**

المسألة (4) أسلوب الحوار:

استخدم القرآن أسلوب المحاورة، في إثبات قضية التوحيد، لما في ذلك من أثر عميق في تنشيط الفكر الإنساني وتحفيزه وتشويقه لمراقبة الحدث واستخلاص النتائج، فكان للحوار القرآني دور كبير في تحرير الفكر وتصويب معتقده نحوالفهم الصحيح، لبلورة موقف صحيح اتجاه معتقدة في خالقه- سبحانه- وذلك من خلال حوار يجري بين طرفين أوأكثر، فيستقر أثره في الفكر أكثر من الخبر المجرد.

ويثبت هذا قوله تعالى:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ **(الشعراء: 69- 83)**

المسألة (5) أسلوب الإستدلال عن طريق الأدلة النفسية أوالداخلية:

اهتم القرآن الكريم ببيان الأدلة النفسية، وحشد الآيات الكثير التي تحتوي هذا المعنى، لما له من أهمية عظمى في توجيه الفكر الإنساني إلى ما فيه خيري وسعادة الدارين.

"هذه الأدلة النفسية أوالداخلية هي التي تعتمد في انتزاع الدليل على الوحدانية من داخل الإنسان، لا من خارجه، ومن أعماق شعوره الداخلي ووجدانه الباطني، لا من مدركات حواسه المعروفة.

وهذا الدليل بالغ الأهمية للإنسان، وفي قضية الإيمان بالذات حتى يحاط به من خارجه ومن داخله جميعًا، فتمتلئ نفسه يقينًا لا يتسرب إليه ريب ولا قلق، وكم من إنسان امتلأ عقله بالمعارف والأرقام وفنون الإحصاء، وامتلأ عقله بعجائب هذا الكون، ولكنه يمضي متلبّد الإحساس، والسبب في ذلك تعطل وجدانه الداخلي، قال تعالى:﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج: 42- 46) "[1].

ولأثر الترغيب والترهيب على نفسية المخاطبين، دعا القرآن الكريم إلى استخدامه كأسلوب فعال له أثر عظيم في نزع العقائد الباطلة وترسيخ العقيدة الصحيحة.

قال تعالى:﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ

[1]: التفسير الموضوعي 1، جامعة المدينة العالمية، 2009م، ص: 35.

بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ (الاسراء:66-69).

وقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(يونس: 22- 23).

المسألة (6) أسلوب الإستدلال على التوحيد بإقامة الحجة على المنكرين ودحضها:

استدل القرآن الكريم على التوحيد بإقامة الحجة على منكريه ودحض ادعاءاتهم، وهذامن شأنه إن يوقظ الفكر ويحرره من قيود التقليد والتبعية، وذلك من خلال تفنيد حجج المشركين، والرد عليها، بعد التسليم جدلاً للمنكرين بتعدد الآلهة، وان الله- ﷻ- ليس بخالق، حتى تنطق الآيات الكريمة بنقض الشرك، وإبطال الادعاءات الكاذبة، وبيان عجز الشركاء المزعومين عن أن يملكوا لأنفسهم ضراً أونفعاً؛ فكيف ينفعون غيرهم أويضرونهم، وذلك بطريقة تحترم فيها العقل وتقدره وتجعله مناطا للتكليف بعد تميزه بين الحق والباطل، ليستطيع أن يتحمل مسؤولية ما يؤمن به ويعتقده.

ومن الآيات الكريمة الدالة على ما سبق ذكره، قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(يونس: 22-23).

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾(الرعد: 16).

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(المؤمنون: 91).

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾(الطور: 35).

المسألة (7) أسلوب التحدي والإعجاز:

هذا النوع من الأساليب لا يهدف فقط للإقناع والتصديق والإيمان بوحدانية الخالق- سبحانه- وكفى بل يظل يؤثر في العقول حتى يوصلها إلى التسليم والإذعان وإظهار العجز أمام قدرة الله- ﷻ- وعلمه وحكمته، فتغير معتقداتها أوتعدلها، حتى تصل إلى حقيقة التوحيد، ومقتضياته، وواجباته. ومن هذه الآيات قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الروم: 40).

قال الإمام الرازي – رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "قوله تعالى: {ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ} أي أوجدكم {ثُمَّ رَزَقَكُمْ} أي أبقاكم، فإن العرض مخلوق وليس بمبقي {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُمْ مّن شَىْء} جمع في هذه الآية بين إثبات الأصلين الحشر والتوحيد، أما الحشر فبقوله: {ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} والدليل قدرته على الخلق ابتداء، وأما التوحيد فبقوله {هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُمْ مّن شَىْء}. ثم قال تعالى:﴿ ﭑﭒﭓﭔ ﴾فقوله سبحانه أي سبحوه تسبيحاً أي نزهوه ولا تصفوه بالإشراك، وقوله: {وَتَعَالَى} أي لا يجوز عليه ذلك وهذا لأن من لا

يتصف بشيء قد يجوز عليه فإذا قال سبحوه أي لا تصفوه بالإشراك، وإذا قال وتعالى فكأنه قال ولا يجوز عليه ذلك[1].

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴾ **(لقمان: 10)**.

﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ **(لقمان: 11)**.

المسألة (8) أسلوب النظر في الأدلة الحسية أوالكونية:

هذا الأسلوب القرآني يثير الفكر الإنساني ويحثه إلى النظر والتدبر في الكون، حيث "يستخدم فيه القرآن الكريم الكائنات؛ للدليل على وجود الله تعالى ووحدانيته، وسعة قدرته وعظيم حكمته، والقرآن الكريم يتخذ كل شيء في الكون دليلًا لذلك، خاصة وجود الكون من العدم، وانتظامه على قوانين مطردة، ونواميس محكمة، وقيامه على غاية التدبير، والتكامل بين أجزائه، والعناية بما فيه من عجائب الأشياء والأحياء.

وفي كل هذا يتجه القرآن الكريم إلى الإنسان، مخاطبًا قلبه وفكره، ومطالبًا أن يتأمل بحسه هذه الموجودات؛ لينتقل من ملاحظاتها في أوضاعها المختلفة إلى ما وراءها، وليدرك من هذه المقدمات الحسية البدهية نتائجها القاطعة، فيعلم أن لهذا الكون ربًّا موحدًا وإلهًا واحدًا، مطلق القدرة والإرادة، واسع العلم والحكمة، متفردًا باستحقاق العبادة والطاعة.

وبذلك يدور الدليل بين السمع والبصر، والفكر والنظر، والمقدمات البدهية القريبة والنتائج السهلة المسلَّمة "[2]. والآيات الكريمة التي تنطق بهذا الأسلوب كثيرة جدا في القرآن الكريم نذكر الآتي على سبيل الاستدلال لا الحصر:

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾**(الاعراف: 185)**.

---

[1] : مرجع سابق، الرازي، مج: 9، ص: 104.

[2] : مصدر سابق ، التفسير الموضوعي 1، ص : 30.

قال الإمام ابن كثير- رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى: أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآياتنا في ملك الله وسلطانه في السموات والأرض، وفيما خلق من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به، ويعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبيه، ومن فعل من لاينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له ، فيؤمنوا به، ويصدقوا رسوله، وينيبوا إلى طاعته، ويخلعوا الأنداد والأوثان، ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت؛ فيهلكوا على كفرهم، ويصيروا إلى عذاب الله وإلى عقابه[1].

المسألة (9) أسلوب ضرب المثل:

هذا الأسلوب له تأثير كبير في توجيه الفكر الإنساني، بالإستفادة من خلاصة تجارب الآخرين التي جرت مجرى المثل، سهل استيعابه وتداوله بين الناس وشيوعه، "أسلوب الأمثال، وهو باب واسع في القرآن الكريم، يقصد به تقرير المعاني في نفس السامع، وتصويرها في صورة محسوسة ملموسة، عن طريق التشبيه أو الاستعارة أو غيرهما من أساليب البيان"[2].

والقرآن الكريم يزخر بايات الأمثال المضروبة لإثبات قضية توحيد الخالق، لما في ذلك من أثر بالغ يقر في الفكر الإنساني ويوجهه ويحثه لنبذ كل ما يخالف هذه الحقيقة، والدفاع عن هذه القضية التي شغلت كثير من الألباب ولولا التنزيل لكان الإنسان لا زال يغرق في بحر الظلمات الفكرية بين الأوهام والخرافات الزائفة التي تزيد من انحطاط الفكر ووهنه.

ومن هذه الأمثال القرآنية المضروبة، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾(الحج: 73).

قال الأمام ابن كثير- رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى منبها على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾أي: لما يعبده الجاهلون بالله المشركون

---

[1] : مرجع سابق، ابن كثير، تحقيق محمد انس مصطفى الخن، ط1، 2008م مؤسسة اللرسالة ناشرون ج: 2، ص: 397.

[2]: مصدر سابق، التفسير الموضوعي 1، ص: 26.

به ﴿فَٱسْتَمِعُوا﴾أي: انصتوا وتفهموا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُۥ﴾أي: لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد، ما قدروا على ذلك.... ثم قال تعالى أيضاً: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾أي: هم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والإنتصار منه لو سلبها شيئاً من الذي عليها من الطيب، ثم أرادت أن تستنفذه منه، لما قدرت على ذلك، هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله واحقرها، ولهذا قال: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ قال ابن عباس: الطالب: الصنم، والمطلوب: الذباب، واختاره ابن جرير، وهو ظاهر السياق. وقال السدي وغيره: الطالب: العابد: والمطلوب: الصنم، ثم قال: ﴿مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾أي: ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾أي: هو القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء"[1].

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾(العنكبوت: 41-43).

---

[1] : مرجع سابق: ابن كثير، ج:3، ص: 347.

الفصل الثاني

آثار توجيه الفكر الانساني في القرآن الكريم على الفرد والمجتمع والأمة

المبحث الأول: أثر التوجيه الفكري في القرآن الكريم على الفرد.

وفيه أربعة مطالب:

1- الأمن.

2- الهداية إلى العقيدة الصحيحة.

3- الهداية إلى الأخلاق الكريمة.

4- الهداية إلى الأعمال الصالحة.

المبحث الثاني: أثر التوجيه الفكري في القرآن الكريم على المجتمع. وفيه أربعة مطالب:

1- الأمن في المجتمع.

2- الهداية إلى العقيدة الصحيحة في المجتمع.

3- الهداية إلى الأخلاق الكريمة في المجتمع.

4- الهداية إلى الأعمال الصالحة في المجتمع .

المبحث الثالث: أثر التوجيه الفكري في القرآن الكريم على الأمة.

وفيه أربعة مطالب:

1- الأمن العام في الأمة.

2- الهداية إلى العقيدة الصحيحة في الأمة.

3- الهداية إلى الأخلاق الكريمة في الأمة.

4- الهداية إلى الأعمال الصالحة في الأمة.

أثار توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم على الفرد والمجتمع والأمة

تمهيد

توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم له أثر بالغ في تقويم سُلوك الفرد، وتنظيم حياته، فمن استمسك به، فقد استمسك بالعروة الوُثقى لا انفصامَ لها، ومن أعرضَ عنه وطلب النجاة في غيره هلك وضل عن سواء السبيل، وقد أوْدَع اللهُ- ﷻ- فيه من التوجيهات، والأحكامُ والشَّرائع، والمواعظ، والقصص، والحكم والمسائل الكثيرة، وما ترك شيئًا من الأمور إلاَّ وبيَّنه، ووضحه بعدة أساليب لكي ينفذ إلى بصيرة هذا الإنسان، ويمهد له سبل الوصول إلى الهداية.

"وقد أكد القُرآن الكريم في مُجمَل دَعوته الراشدة الهادية على أن الإنسان هو أكرم وأشرف المخلوقات وأعلاها قدرا وأسماها مكانة تحت حكم الله، ومن علامات وإشارات هذا التكريم وهذه الحفاوة بالإنسان أن الله- ﷻ- خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه الأسماء كلها وحمله الأمانة والمسؤولية وسخر له كل ما في هذا الكون، ليكون في خدمته، وتحت تصرفه، جعله مستخلفا في الأرض، وجعله صاحب إرادة ومكنه من الحرية السوية المعتدلة وأرشده إلى طريق الهداية، ووجهه إلى إقامة معالم الخلافة في الأرض، بالعمل على تحصيل المعرفة والعلم المعين على تشييد معالم الحضارة الإنسانية، ليحقق إرادة الله- ﷻ- من قضية استخلافه في الأرض، وأهمها عبادته سبحانه فيها والعمل على نشر هذا الدين القويم والدعوة إلى التوحيد في كل أرجاء الأرض"[1].

وفي القُرآن الكريم بيانٌ لأحوالِ الناس أفرادا وجماعات، منهم من نفعه الهدي الرباني، فآمن واتبع سبيل الحق وسار على الصراط المستقيم، فكان له الفوز العظيم في الدنيا والآخرة. ومنهم من ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، فحجب عن بصيرتهم نور الهداية، وضلوا وأضلوا، فما كان لهم إلا الخسران المبين، في الدنيا والآخرة، ولم يترك التوجيه القرآني يه أثر يحمد، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾(محمد: 24).

وما دام القرآنُ الكريم هوحبلَ الله المتين، الذي حرص على توجيه الفكر الانساني، واعتنى به أجل عناية وهودستورَ هذه الأمة أفرادا وجماعات، فلا بُدَّ أنَّ هناك آثارًا لهذا التوجيه الفكري

---

[1]: مصدر سابق، معلمة الاسلام، ص: 117، بتصرف.

تعود على الفرد والمجتمع والعالم، وعليه؛ سأقوم أن شاء الله ببيان أهم هذه الآثار على كل من الفرد والمجتمع والعالم منطلقة من الآية الكريمة، قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾(الأنعام: 82).

ذكر كثير من المفسرين بأن المقصود بقوله تعالى: {أُوْلَـٰئِكَ لَهُمُ ٱلأَمْنُ} أن الأمن في هذه الآية يعني الأمن من عقوبة الله ﷻ، وفي قوله تعالى: {وَهُمْ مُّهْتَدُونَ} أي مهتدون إلى الحجة والبرهان[1].

ومن هنا نستنبط إشارة لطيفة أن الأمن بأنواعه المختلفة هومن أهم الآثار التي يجنيها الفرد المسلم الذي لم يلبس ايمانه وعقيدته بظلم، أي (الشرك) كما أجمع عليه المفسرين، والأثر الثاني الذي ترشدنا إليه الآية الكريم هوالهداية وحول هذين الأثرين نناقش مباحثنا في هذا الفصل إن شاء الله بمزيد من الإيضاح والبيان.

رسم بياني لمستويات آثار توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم

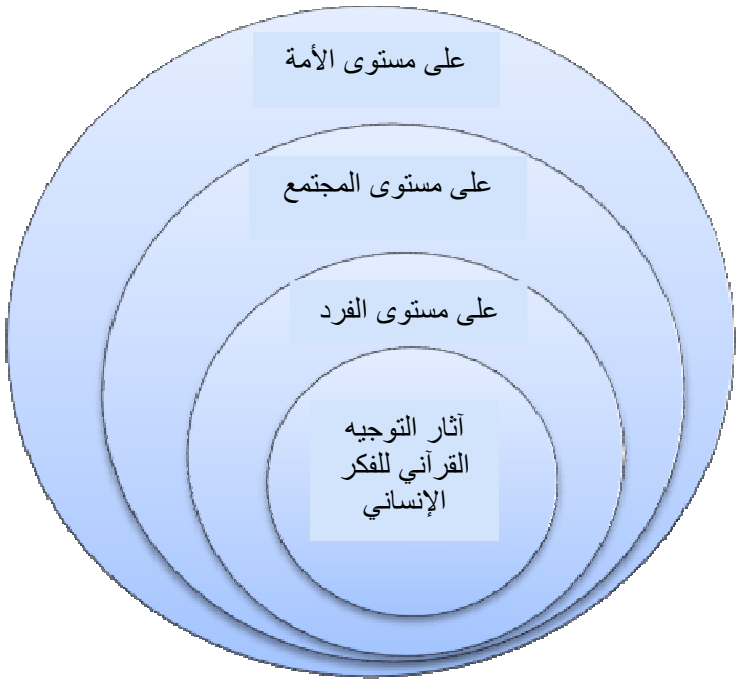

[1] : مراجع سابقة، الطبري، مج: 5، ص:302، القرطبي، ج: 8، ص: 444، وغيرهم.

- الأثر لغة (أثر) الهمزة والثاء والراء، لـه ثلاثـة أصـول: تقديم الشـيء، وذكـر الشـيء، ورسـم الشيء الباقي[1].
- "الأثر، ما بقي من رسم الشيء، والتأثر: إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء ترك فيه أثر. لسان العرب[2].
- الأثر له ثلاثة معان؛ الأول: بمعنى النتيجة، وهوالحاصل من الشيء. والثاني: بمعنى العلامة، والثالث: بمعنى الجزء[3].

من خلال ما تم بيانه في الرسم السابق يتبين لنا ان اثر التوجيه القرآني للفكر الإنساني ينقسم إلى قسمين متداخلين يؤثر كل منهما على الآخر، وهما:

أولا- الأمن ويشمل:

ا) الأمن على مستوى الفرد ويشمل:

1- الأمن النفسي.

2- الأمن الفكري.

ب) الأمن على المستوى الاجتماعي ويشمل:

1- الأمن الفكري الاجتماعي.

2- الأمن الاقتصادي.

3- الأمن السياسي.

ج) الأمن على المستوى الأمة ويشمل:

1- الأمن الداخلي.

2- الأمن الخارجي.

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، ص: 60.

[2] ابن منظور، ج3، ص: 296.

[3] الجرجاني،التعريفات، ص: 32.

ثانيا- الهداية:

1- الهداية إلى العقيدة الصحيحة (على مستوى الفرد والمجتمع والأمة).

2- الهداية إلى مكارم الأخلاق (على مستوى الفرد والمجتمع والأمة).

3- الهداية إلى الأعمال الصالحة على مستوى الفرد والمجتمع والأمة).

وسيتم إن شاء الله في هذا الفصل بيان هذه الآثار موزعة على كافة المستويات المحددة سابقا مع التأكيد على تداخل هذه الآثار مع بعضها، وتمسك كل منها برقبة الأخرى، وقوة تأثير كل قسم على معالم القسم الآخر وتمكينه.

المبحث الأول

أثار توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم على الفرد

المطلب الأول: الآمن النفسي..

المسألة (1) تعريف الأمن النفسي.

الأمن لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة أن (أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق. والمعنيان متدانيان[1].

وجاء في لسان العرب: الأمن الطمأنينة، والأمن: ضد الخوف[2].

الأمن اصطلاحا:

عرف الجرجاني الأمن في تعريفاته: عدم توقع مكروه في الزمان الآتي[3].

النفس لغة:

جاء في لسان العرب: الجسد، الدم، الروح،... جملة الشيء وحقيقته، ويعبر بها الإنسان عن جميعه[4].

والنفس في الاصطلاح: هي الجوهرالبخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة، والحس والحركة والإرادة[5].

---

[1] : ابن فارس، مقاييس اللغة. ج1، ص:133.

[2] : ابن منظور، لسان العرب..

[3] : الجرجاني، التعريفات، ص: 55.

[4] : ابن منظور، لسان العرب، ج 14، ص: 233- 134.

[5] : الحزيمي، سعود، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، ص: 1917.

ويرى الإمام الغزالي- رحمه الله- أن النفس تطلق على عدة معان، ويحصرها في معنيين:

أولا: المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان.

ثانيا: اللطيفة التي هي نفس الإنسان وذاته، ولها أحوال، النفس المطمئنة قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾(الفجر: 27- 28) والنفس اللوامة كما قال تعالى:﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾(القيامة: 2) والنفس الأمارة بالسوء قال تعالى:﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(يوسف: 53) [1].

تعريفه كمصطلح مركب:

الأمن النفسي عرفه المحجوب بأنه"الحالة التي يسود فيها الشعور بالطمأنينة والهدوء والإستقرار والبعد عن القلق والاضطراب"[2].

مصطلح الأمن ومشتقاته في السياق القرآني:

جاء مصطلح الأمن ومشتقاته في السياق القرآني على عشرين صيغة، وهي: "أمن- أمنتكم- أمنتم- أمنوا- أمنكُم- تأمنًا- تأمنه- يأمن- يأمنوا- يأمنوكم- آمناً- آمنةً- آمنون- آمنين- الأمن- أمناً- أمنةً- مأمنه- مأمون- آمنهم "وذلك في أربع وعشرين سورة.

وقد وردت هذه الصيغ في ثمانٍ وأربعين موضعاً من كتاب الله موزعةً على ثلاث وأربعين آية، تسع وعشرون آية منها مكية، وأربع عشرة آية منها مدنية[3].

"هذا التباين في عدد مواضع ذكر هذه اللفظة بين الآيات المكية والمدنية ليؤكد مدى حاجة العهد المكي إلى مزيد من الأمن المفقود يومئذ للمؤمنين، وأما في العهد المدني فقد كان المسلمون

---

[1]: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3، ص: 4-5.

[2]: المحجوب، أحمد بن علي، الأمن الفكري والعقائدي مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه ، ص : 53 .

[3]: مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد الرابع عشر- العدد الأول، ص:258-229.

أكثر أماناً إذ قامت لهم دولة على أرض المدينة، وأصبح الحديث عن الأمن حسب الحاجة والضرورة"[1].

المسأله (2) أثر توجيه الفكر في تحقيق الأمن النفسي للفرد:

إن الأمن النفسي مطلب ضروري في حياة الفرد، لا تستقيم حياته بدونه، و"من خصائص المنهج القرآني ألا يقتصر توجيهه على التعديل الذي يمس الجانب العملي، بل يتجاوزه فيغوص في أعماق النفس ليستل منها سخائم الأثرة، ويبعد عنها شبح الأنانية المقيت، ويتحرى في مختلف وسائل علاجه الدقة التي لا تحاكي في سموها عندما يتعرض لوصف آثار الانفعالات النفسية التي تبرزها ملامح الوجه باعتبارها المرآة العاكسة لمشاعر الإنسان"[2].

حتى يتحقق الأمن النفسي. وهذا ما ينشده التوجيه القرآني، ويرنو إليه ليحقق للنفس الإنسانية السوية ما تصبو إليه، وذلك لأهمية هذا الأمر في توجيه السلوك الإنساني، ومن هذه الآثار:

أولا: استقرار حياة الفرد واتزان شخصيته.

ثانيا: استقامة سلوك الفرد، وإيجابيته في الحياة، وأداء واجباته الشرعية، والإجتماعية، والوطنية.

ثالثا: تكسبه سعة الصدر، والصبر وتكسبه القدرة على تحمل الابتلاءات وتجاوز المحن.

رابعا: تصقل نفسيته وتجعله ذا رؤية مستقبلية، "تعطيه موهبة الحياة على مستويات متعددة وفي اتجاهات متعددة: حسية ومعنوية، مادية وروحية، فردية واجتماعية، اقتصادية وسياسية وفكرية وفنية وعلمية وعملية..."[3].

خامسا: تجعل الفرد يجتهد ويعمل بجد ليحقق كل ما تصبو إليه النفس، فيكتشف ويخترع ويصل كل يوم إلى جديد، ينشئ الحضارات، بكل ما تشتمل عليه الحضارة من إنتاج في عالم المادة

---

[1] : المصدر السابق، ص: 235.

[2]: الفورتيه، احمد جيهان، القرآن أصل التربية وعلم النفس، ص: 80.

[3] : قطب. محمد، دراسات في النفس الإنسانية، ص: 143.

وعالم الفكر والروح، وتجعله يدخل الحرب ويعقد السلم، ويسعى لرفع شأن أمته، واستقرار أمنها، وعزتها[1].

سادسا: تحرير العقل من كل القيود والأهواء، بصفاء النفس ونقاوة الضير وطهارة الوجدان، اذا تم الإنسجام، وهذا شرط أساسي لتحقيق نصر الله- ﷻ- وإقامة دينه[2].

سابعا: الأمن النفسي يؤدي إلى تقوية صلة النفس بخالقها، فتكون النفس بين الخوف والرجاء، وهذا الخوف ايجابي يتصل بالله- ﷻ- وخشيته وتقواه، والرجاء كذلك، يتصل بالله- ﷻ- ونعمه ورحمته وغفرانه وتقبل الصالحات من الأعمال، وهذا ما يعزز الثقة في نفس الفرد ويدفعه إلى اقتحام الأمر المخيف المرهوب متوكلا عليه سبحانه، غير متواكل، اذا كان يرى في الأمر منفعة لنفسه وأمته من غير إثم[3].

المسألة (3) أثر توجيه الفكر في تحقيق الأمن الفكري للفرد:

إن أهمية الأمن الفكري[*]تنبع من تبوئه مرتبة متقدمة بين أنواع الأمن الأخرى، ومن ارتباطه الوثيق بتلك الأنواع، فمتى وجدت الحماية للعقل الإنساني أدى ذلك إلى تحقق الأمن الفكري الذي بدوره يؤدي إلى استتباب الأمن في الجوانب الأخرى باعتبار ذلك نتيجة طبيعية.

ولا يتصور الفرد مدى أهمية الأمن الفكري وما يترتب على تحقيقه من إيجابيات إلا بتأمل وإدراك مدى الأضرار المترتبة على فقدانه أواضطرابه.

وفي ظل الثورة المعلوماتية، ومع تطور وسائل الإتصال، وسهولة انتقال الثقافات وتأثر بعضها ببعض بما يؤدي ذلك من غزوفكري وثقافي، يكون لزاماً على كل ذي لب أن يدرك مدى

---

[1] : ينظر في المصدر نفسه، ص: 144.

[2] : مصدر سابق، القرآن أصل التربية وعلم النفس، ص: 110.

[3] : مصدر سابق، دراسات في النفس الانسانية، ص: 142، بتصرف.

[*]الأمن الفكري "تأمين خلو أفكار وعقول أفراد المجتمع من كل فكر شائب ومعتقد خاطئ، مما قد يشكل خطراً على نظام المجتمع وأمنه، وبما يهدف إلى تحقيق الأمن والاستقرار في الحياة الاجتماعية "الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية. حيدر بن عبد الرحمن الحيدر. ص؛ 316، نقلا عن رسالة ماجستير، مفهوم الأمن الفكري، اعداد ماجد الهذيلي.

أهمية الأمن الفكري باعتباره أهم السبل في الوقاية من الإنحراف الفكري[1].

إن الأمن الفكري لكل أمة هو بحفظ هويتها، إذ في حياة كل أمة ثوابت تدافع من أجلها وتسعى إلى المحافظة عليها لأنه هو سر وجودها وتميزها ولأنه هو سبب استقلالها وبقائها، ولأنه هو الرابط بين أفرادها.

ومما يوضح آثار الأمن الفكري على الفرد ما يلي:

1- أن الأمن الفكري أحد مكونات الأمن بصفة عامة، بل هوأهمها وأسماها وأساس وجودها واستمرارها، والأمن هوالنعمة التي لا يمكن أن تستقيم الحياة بغيرها.

2- أن الأمن الفكري يتعلق بالمحافظة على الدين، الذي هو إحدى الضرورات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بحمايتها والمحافظة عليها، ويتمثل ذلك بأمور:

- التأكيد على أهمية التفقه في الدين والحذر من الجهل الذي يقود إلى كثير من الانحرافات.

- تحريم الإبتداع في الدين، حيث إنه من دواعي اضطراب الأمن الفكري وانتشار البدع.

- تحريم الفتوى والقول على الله بلا علم، مما يكون سبباً في الوقوع في الزيغ والفتنة.

3- تحريم التطرف والغلوفي الدين، والأدلة على ذلك كثيرة.

أن الأمن الفكري يتعلق بالعقل، والعقل هو آلة الفكر، وأداة التأمل والتفكر، الذي هوأساس استخراج المعارف، وطريق بناء الحضارات، وتحقيق الإستخلاف في الأرض، ولذلك كانت المحافظة على العقل، وحمايته من المفسدات، مقصدًا من مقاصد الشريعة الإسلامية، وسلامة العقل لا تتحقق إلا بالمحافظة عليه من المؤثرات الحسية والمعنوية.

4- أن الأمن الفكري غايته استقامة المعتقد، وسلامته من الانحراف والبعد عن المنهج الحق ووسطية الإسلام ولذلك فإن الإخلال به يعرض الإنسان لأن يكون عمله هباءً منثورًا لا ثقل له في ميزان الإسلام.

5- أن الإخلال بالأمن الفكري يؤدي إلى تفرق الأمة وتشرذمها شيعًا وأحزابًا، وتتنافر قلوب أبنائها، ويجعل بأسهم بينهم شديد، فتذهب ريح الأمة، ويتشتت شملها، وتختلف كلمتها[2].

---

[1] ينظر في د.المالكي، عبد الحميد، الأمن الفكري مفهومه وأهميته ومتطلبات تحقيقه، ص 38-40.

[2] : ينظر في المصدر السابق، الأمن الفكري، ص: 40.

6- أنه من أسباب تحقيق الوسطية والإستقامة، حيث إنه إذا أمن الفرد فكرياً فإنه سيسلك السبيل الوسطي.

7- أنه سيقود إلى تفاعل الفرد إيجابياً مع مجتمعه، وسينظر إلى الأمر نظرة تفاؤلية، وسيعالج الأخطاء والمخالفات وفق منهج شرعي صحيح مبني على العلم والبصيرة والبعد عن الإندفاع غير المنضبط.

8- أنه سيقود إلى نشأة أسرة تتأثر بوليها الذي سيربيهم على هذا المنهج الصحيح، وبالتالي يكثر الخير في المجتمع إذا انتشر الأمن الفكري بين الأسر.

9-أنه سيقود الفرد إلى التعاون مع الجهات ذات العلاقة بالعناية بالأمن الفكري، وسيكون سبباً في الإرشاد والتوجيه إلى المعنى الصحيح للأمن الفكري المؤصل شرعياً، والسعي إلى نشره وتعميمه والتربية عليه.

10- الأمن الفكري يشكل حافزا قويا يثير العقل بقدراته الذهنية وتصوراته التحليلية نحو البحث والتقصي والتجربة والإستدلال، ليكون هذا الكون محرابا للفكر، والأمن يزيد الإنسان جراءة وقوة للبحث عن المزيد من الإكتشافات، الأمر الذي يمهد له سبل الإختراع والتجديد والتطوير والنموعلى كافة الأصعدة، العلمية منها والعملية وفي مختلف العلوم.

المطلب الثاني- أثر توجيه الفكر في الهداية إلى العقيدة الصحيحة على الفرد:

الهداية إلى العقيدة الصحيحة هي أهم ما سعى إليه القرآن الكريم في توجيهه للفكر الإنساني، وهي المقصد الأول من التنزيل، والغاية الأسمى منه فهي مخ المقاصد، وهدفها الأول، لذا فإن أثرها في حياة الفرد ذروة سنام الآثار، لما لهذ الأثر من أهمية بالغة في تحديد العلاقة بين الخالق والمخلوق، وفي رسم معالم الطريق الموصلة إلى الخالق سبحانه، بإتباع أوامره وتنفيذها واجتناب نواهيه، فإذا استقرت في النفوس جلبت لصاحبها راحة البال، واطمئنان النفس، وتحرر الفكر وسلامته، واتزانه، قال الإمام ابن تيمية- رحمه الله- "القلب فقير بالذات إلى الله من وجهَين: من جهة العبادة، وهي العِلة الغائية، ومن جهة الإستعانة والتوكُل، وهي العِلة الفاعلة؛ فالقلب لا يَصلح ولا يُفلِح ولا ينعَم ولا يُسرُّ ولا يَلتذُّ ولا يَطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربِّه وحبِّه والإنابة إليه، ولوحصل له كل ما يلتذُّ به من المخلوقات لم يطمئنَّ ولم يَسكن؛ إذ فيه فقر ذاتيٌّ إلى ربه من حيث هومعبودُه ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يَحصُل له الفرح والسرور واللذَّة والنِّعمة

والسكون والطمأنينة، وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له؛ فإنه لا يَقدِر على تحصيل ذلك له إلا الله، فهودائمًا مُفتقِر إلى حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**(الفاتحة: 5)**"[1].

ومن هذه الآثار أنها:

أولاً: إن الهداية إلى العقيدة الصحيحة تغرس في النفس التوكل على الله والإعتصام به، والتمسك بهدي نبيه محمد-ﷺ- وهذا يبث الأمل والراحة والثقة في نفس الإنسان فلا يجزع لنوائب الدهر، ولا يذل لخلق من المخلوقات، فلا يخاف إلا اللهﷻ، فيسير في هذه الحياة الدنيا بنور البصيرة، واثق الخطوة، آخذا بالأسباب لا يخشى في الله لومة لائم.

ثانيا: السعي في طلب العلم، والبحث، واكتشاف نواميس الكون، وبيان حقائقه، وتسخير ما فيه لخدمة الإنسانية، والإختراع والتنقيب، والتفتيش عن كل ما يلزم لتيسير حياة الإنسان، وتحقق مقومات خلافته في هذه الأرض بالنمو، والتحضر، والتقدم والنهضة.

ثالثا: تصحيح مفاهيم الفرد وتصوراته عن الوجود، والحياة، والكون، والخالق، وغير ذلك مما كان يشكل على الفكر الإنساني، ويمنح الفكر فرصة الإنطلاق في محراب الكون، ليتفكر، وينظر، ويتأمل، ويعتبر ليزداد إيمانا ويقينا بخالق هذا الكون ومدبره[2].

رابعا: تحرير الفرد من عبودية النفس والهوى ومن عبودية الشهوات والأهواء، ليكون عبدا خالصا لله تعالى، و"إن هدف تحقيق العبودية الخالصة الله تعالى هو الهدف الأعلى الذي جاءت بقية الأهداف لتوصل إليه، وفي هذا جمع لتفكير الإنسان وحفظ له من التشتت، فقد جاء في دراسة للبوطي (*) أن تحديد الهدف في القرآن الكريم جاء كمحور أساسي بارز في مختلف المواضيع والأبحاث كي يرتبط الذهن بالهدف الأساسي مهما تشعبت الأفكار. وعندما يرتبط التفكير بالهدف فإن هذا الارتباط يجعل التفكير أكثر وضوحا. وإن الوضوح في الهدف يوصل إلى التفكير السليم، بل إلى التفكير الإبداعي"[3].

---

[1] ابن تيمية، العبودية، (ص: 97).

[2] : ينظر في (2): مجلة العلوم والبحوث الاسلامية، العدد الثاني، فبراير 2011، العقيدة الاسلامية وأثرها في حياة الآمة، د. محمد ابراهيم أحمد، ص: 5- 10

[3] : ينظر في رسالة ماجستير التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم إعداد عبد الوهاب محمود إبراهيم حنايشة، ص: 99.

(*) : البوطي ، محمد سعيد رمضان ، منهج تربوي فريد في القرآن ، ص : 60 .

خامسا: تعزيز دور الفرد اتجاه دينه، ونفسه، ومجتمعه، وأمته، يعرف ما له من حقوق، وما عليه من واجبات، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويذود عن حمى هذه الأمة بنفسه وماله وبكل ما أوتي من سبل ووسائل لتحقيق أمنها واستقرارها وسموها وعلوكعبها بين الأمم.

سادسا: العقيدة الصحيحة أساس الإخاء والمساواة، لأن الإخاء والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد لا تتحقق ومنهم من يتخذ بعضهم بعضا أربابا، فأما اذا كانوا عبادا لله- ﷻ- لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا فرق بين عرق وعرق ولا جنس وجنس إلا بالتقوى فيكون هذا هو أصل الإخاء والمساواة بين الناس.

سابعا: تحرر الفرد من الظلم والقهر والإستبداد، فهذا دين العدل، الحق، التسامح، يكفل لكل فرد حقه، ويحفظه له، فلا يحق لأي إنسان مهما بلغت سلطته، وقوته، أن يعتدي على حق غيره، أويمسه بسوء، أوأن ينتهك محارمه، وهذا ما يسكب الطمأنينة والراحة في النفس، ويجعل الفرد أكثر تمسكا بهذا الدين وأكثر سعادة به[1].

المطلب الثالث- الهداية إلى الأخلاق الكريمة.

المسألة (1) تعريف الخُلُق:

الخلق لغة:

قال صاحب القاموس المحيط: "الخُلْقُ بالضم: الطبع والسجية والدين والمروءة"[2].

وجاء في لسان العرب: "الخُلُقُ والخُلْقُ السجية.. فهوبضم الخاء وسكونها الدين والطبع والسجية"[3] وفي هذا المعنى يقول صاحب المفردات: "الْخَلْقُ في الأصل شيء واحد كالشّرب والشُّرب والصَّرْم لكن خص الخَلْقُ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخُص الخُلْقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة. قال تعالى (وإنك لعلى خُلق عظيم).

---

[1] : ينظر في يوسف، نعيم، أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع، تقديم فؤاد الهجرسي، ص: 67- 94

[2] : أبادي، الفيروز، القاموس المحيط، ج3، ص 236.

[3] : ابن منظور، لسان العرب، حـ1، ص: 889.

وقرئ: إن هذا إلا خَلْقُ الأولين، والخلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخُلُقِه قال تعالى ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴾**(البقرة: 200)** وفلان خليق بكذا: أي كأنه مخلوق فيه ذلك كقولك مجبول على كذا، أومدعواليه من جهة الخَلق..)[1]

المعنى الاصطلاحي:

عرَّف الجرجاني الخلق بأنَّه: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقًا سيئًا"[2].

ويمكننا من خلال التعريفات السابقة تعريف الخلق بأنه: الطبع في النفس، وما يتبعه من سلوك أونصرف يعبر عنه.

المسألة (2) الأخلاق في القرآن الكريم:

حشد القرآن الكريم كثيرا من الآيات الكريمة التي تحض على مكارم الأخلاق، مادحا المتصف بها، وتنبذ الأخلاق السقيمة، ذاما المتصف بها، ومن هذه الآيات الكريمة التي تحض على مكارم الأخلاق نذكر الآتي:

1- الوفاء بالعهد: قال تعالى-: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾**(البقرة: 177)**.

وقوله- تعالى-: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾**(الإسراء: 34)**.

---

[1] : الأصفهاني، المفردات، ص 164.

[2] : الجرجاني، التعريفات، ص: 101.

وقوله- سبحانه-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾(المائدة: 1)، وقوله تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ (المعارج: 32).

2- الصبر على المكاره، قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾(البقرة: 155- 157)، وقال سبحانه: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾(البقرة: 177)، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمٗا﴾(الفرقان: 75).

ويمكننا من خلال التعريفات السابقة تعريف الخلق بأنه: الطبع في النفس، وما يتبعه من سلوك أونصرف يعبر عنه.

3- الحث على الصدق: قال - ﷻ -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (التوبة: 119)، وقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾(الإسراء: 80).

4- اجتناب الكذب قال- سبحانه-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾(غافر: 28).

وقال تعالى-: ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾(التوبة: 77). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾(النحل: 116).

5- التواضع، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾(الفرقان: 63).

وقال تعالى:﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ (الإسراء: 37).

6- حفظ اللسان، وتجنب التصرفات المسيئة للآخرين، واللغو، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات: 11- 12). وقال سبحانه:﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾(المؤمنون: 1- 3).

7- الأمر بالعدل والإحسان، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾(الأنعام: 152)، وقال- عز من قال-: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(المائدة: 8)، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾(النحل: 90)، وقوله تعالى: ﴿ ئى ئى ئد ﴾(الشورى: 15).

8- النهي عن التبذير والتقتير:قال- تعالى-: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ (الإسراء: 26- 27)، وقوله- تعالى-: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾(الإسراء: 29).[1]

المسألة (3) خصائص الأخلاق في القرآن الكريم:

تتميز الأخلاق القرآنية بميزات خاصة، تجعلها أكثر تأثيرا وقبولا في حياة الأفراد

---

[1] : ينظر في دراز ، محمد ، دستور الآخلاق، 693، بتصرف.

والمجتمعات، الأمم، الأمر الذي يزيد من قوتها ورسوخ قدمها، وعمق أثرها على كافة الأصعدة وفي مختلف المستويات ونذكر من هذه الخصائص التي تميزها الآتي:

أولا: "التعميم والتفصيل: وجه القرآن الكريم الإنسان إلى مكارم الأخلاق في خطاب عام، آمرا بإلتزام الأخلاق الكريمة، ومشيدا بمن تحلى بها، ونهى عن التخلق بالأخلاق الرذيلة، مشدد على من تخلق بها، تاركا خلفه مكارم الأخلاق. ولم يكتف القرآن الكريم بالتوجيه العام بل لجأ أيضا إلى الخطاب المفصل، فبين أنواع كل صنف، لتوضيح عاني الأخلاق وتحديدها لئلا يختلف الناس فيه"[1].

ثانيا: شمول الأخلاق: وتعني أن دائرة الأخلاق الإسلامية واسعة جدا، فهي تشمل علاقة الفرد بنفسه وعلاقته بمجتمعة، وعلاقة المجتمعات معا إضافة إلى علاقات الأمم مع بعضها، وهذا يدل على مرونة هذه الأخلاق، وتنوعها، واتزانها، وقوتها ووقدرتها على مواكبة الظروف، والأحوال، واتساعها لتشمل الجميع.

ثالثا: لوزمها في الوسائل والغايات: يعني أن الغاية الشريفة يلزمها وسيلة سليمة لتحقيقها، ولا تبرر الغاية الوسيلة مهما كانت، فلا يجوز الوصول إلى الغاية الشريفة بالوسيلة الخسيسة. ويدل ذلك على ضرورة مشروعية الوسيلة ومراعاة معاني الأخلاق فيها.

رابعا: صلة الأخلاق بالإيمان وتقوى الله- ﷻ -: وتعني أن الأخلاق موصوله بالإيمان وتقوى الله- ﷻ- أي أن الأخلاق هي ضابط الإيمان والتقوى.

خامسا: " الجزاء: لأن القرآن الكريم جاء آمرا وناهيا، فمن أطاع أوامره وانتهى عما نهى عنه فاز وربح واستحق الأجر والثواب العظيم، ومن عصى أوامر الله- ﷻ- خاب وخسر واستحق العقاب والحساب الأليم"[2].

المسألة (4) أثر توجيه الفكر في الهداية إلى مكارم الأخلاق على الفرد:

الأخلاق كالرحى تدور كل المعالي حول قطبها، فبها تقاس الحضارات، وتقوم النهضة، وتزهو، وبها تنشر الفضيلة، وبها يقوم بنيان هذا الدين الشامخ، لذلك زخر القرآن الكريم بحشد وافر من الآيات الكريمة التي تدعو إلى هذه المكارم جملة وتفصيلا، لما لها من دور بارز في

---

[1] : ينظر في حمزة، د. عمر يوسف، في أصول الأخلاق في القرآن الكريم، ص: 78.

[2] : ينظر في زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، ص: 84- 86، بتصرف.

حياة الأفراد والمجتمعات والأمم، ومنزلة رفيعة في هذا الدين الحنيف، وهذا ما جعله يسود ويحيى على مر العصور، وكيف لا يكون له هذه الميزة، وهوتنزيل من اللطيف الخبير. وهذه الأخلاق كانت سببا في كثير من الفتوحات الاسلامية خارج الجزيرة العربية، وهذا يدل على حاجة الأمم أفرادا وجماعات إلى مثل هذه الأخلاق.

وللأخلاق الكريمة أثرها الطيب في سلوك الإنسان، وما يصدر عنه، بل نستطيع أن نقول إن سلوك الإنسان عبارة عن ترجمة لما في داخله من طباع وسجايا وقناعات. ولهذا فإن للأخلاق أهمية بالغة وتأثير كبير في جميع معاملات الإنسان، وعلاقاته، وفي أسلوب حياته، و"الاسلام عقيدة وشريعة وأخلاق، فالعقيدة هي الصلة بين الإنسان وربه والشريعة هي الرابطة بين الإنسان ومجتمعه، والأخلاق هي: الطابع الذي يطبع العلاقات والروابط كلها بطابع الإلتزام، فالإنسان في الحياة مكلف وله أمانة ورسالة وله حرية الإرادة التي تحكم عمله وتكون مناط الجزاء، ومنها كان الإلتزام الأخلاقي هو أبرز معالم المسئولية الفردية، وهوالتزام من الإنسان في مواجهة البشرية كلها"[1].

لذا حفل القرآن الكريم بها واعتنى بها أيما عناية، لما لها من أثر بالغ في سلوك الإنسان، نذكر منها الآتي[2]:

أولا- الكمال والسمو:

الأخلاق في ذاتها زينة لصاحبها أعظم من كل ما يمكن أن يتجمل به الناس، وكمال وسمو لمن يتحلى بها، فهي عنوان أصالته، وشخصيته، وترجمان عن ما تحمله نفسه من صفات وخصائص، لذا فإن الأخلاق هي ما يرفع الإنسان أوما يحط من قدره وهي ما يكسبه الكمال أو النقص في الحياة الدنيا اوالآخرة.

ثانيا- القوة والإقتدار:

بالأخلاق الكريمة يستطيع الإنسان التغلب على كثير من المواقف الصعبة التي تواجهه في حياته، وبها يستطيع التخلص من كثير من الإشكاليات التي يمر بها بسلام وروية، ويتمكن الإنسان من أداء ما عليه من حقوق وواجبات للغير بلا إفراط ولا تفريط، وهذا ما يكسبه الخبرة

---

[1] : مصدر سابق، معلمة الاسلام، ص: 235.

[2] : مصدر سابق، أصول الأخلاق في القرآن الكريم، ص: 16- 18، بتصرف.

والحكمة الكافية لتحدي الصعاب، والتحكم بالمواقف دون أن يقع فريسة في شباك الهوى أوالتهور واللامسوؤلية.

ثالثا- الثبات والاطراد:

وهذا من نتائج الخلق السليم ان يشعر بالاستقرار والثبات والاطراد في عمل البر والإحسان واتباع السلوك الحسن الطيب الذي تطيب له النفوس السليمة وتباركه، حتى يصبح عنده عادة لا تفارقه. فالأخلاق- إذن- راسخة في النفس فكلما وجد داعيها ظهرت، فمن كان خلقه الشجاعة أقدم عند داعي الإقدام، ومن كان خلقه الكرم بذل إذا حضر داعي البذل، ومن كان خلقه الصبر صبر إذا لمت به الملمات والمصائب وهكذا..

رابعا- السعادة ورضى النفس:

هذه من أعظم الثمار التي يجنيها صاحب الخلق الكريم، الفاضل، فمن كانت هذه أخلاقه أشرب نفسه الراحة والأمان والإستقرار النفسي، وجنبها القلق، والضجر، والصراع النفسي المضني فلا يرهق نفسه، ويشغل باله بين عواطفه ودوافعه، بل يجد نفسه سويا، مجتمع القلب والفكر.

خامسا- التميز بالقول والعمل:

مما لا شك فيه أن صاحب الأخلاق الكريمة، الفاضلة، إنسان مميز بقوله وعمله، وقد ذكر الإمام الغزالي- رحمه الله- أن للخلق الحسن علامات تظهر على صاحبها وتميزه عن غيره منها: أنه كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام كثير العمل، قليل الزلل قليل الفضول، برا وصولا وقورا صبورا شكورا راضيا حليما، رفيقا عفيفا. لا لعانا وسبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا، بشاشا هشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله وهذا هوما يميز حسن الخلق[1].

المطلب الرابع- الهداية إلى الاعمال الصالحة

وجه القرآن الكريم الإنسان إلى العمل الصالح في كثيرٍ من آياته الكريمة؛ التي نطقت به

---

[1] : مرجع سابق، إحياء علوم الدين، ج 3، ص: 70.

داعية إليه، لأنه ثمرة التصور الإعتقادي الصحيح، والتوجيه الفكري السليم، لذا جاءت الآيات الكريمة كثيرا ما تقرنه بالإيمان، الذي هوأصل التوحيد الخالص.

وقد ربط القرآن الكريم في توجيهاته للفكر الإنساني بين مفهوم الإيمان والعمل الصالح، لأن العمل الصالح هوعبارة عن ترجمة حقيقية لماهية الإيمان الذي يؤمن به الإنسان، فإذا كان العمل منضبطا بما أوحي الله به في الكتاب والسنة، ومستمدا منهما كان هذا العمل صالحا، واذا لم يكن كذلك كان عملا فاسدا لا يرضي الله- ﷻ- ورسوله الكريم.

وعند استقراء وتتبع الآيات القرآنية التي تدعوإلى الأعمال الصالحة يتبين لنا أن كثيرا من الآثار المترتبة عليها صرح بها القرآن الكريم، منها:

أولا- أثر توجيه الفكر في الهداية إلى العمل الصالح على الفرد :

ا) الحياة الطيبة المبارك فيها:

أخبر الله- سبحانه وتعالى- عباده المؤمنين المداومين على العمل الصالح بأن لهم حياة طيبة في الحياة الدنيا، والأجر العظيم والثواب الجزيل في الآخرة، قال تعالى:﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾**(النحل:97)**.

ب) الهداية:

من آثار العمل لصالح التي تعود على الإنسان الهداية إلى ما يحبه الله- ﷻ- ويرتضيه من قول وعمل، قال تعالى:﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ** ﴾**(يونس: 9)**.

ج) التميز بالعمل الصالح يؤدي إلى تميز الصالحين عن المفسدين:

إن الله تعالى لا يساوي بين المصلحين والمفسدين في الأرض، بل يميز المصلحين في الأرض عن المفسدين فيها، كما يميز المتقين عن الفجار ولا يساوي بينهم، قال تعالى:﴿ **أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ** ﴾**(ص 28)**.

د) الإخبات إلى الله- سبحانه وتعالى -:

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۢبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(هود:24).

هـ) سيحظى بالقبول والمحبة والاحترام والتقدير عند الناس:

إن الله تعالى إذا أحب عبدا جعل له القبول وقذف المحبة في قلوب الناس له، الأمر الذي يزيد من تقدير الناس له واحترامهم إياه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾(مريم 96)

قال السعدي: "هذا من نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن وعدهم أنه يجعل لهم ودا، أي: محبة وودادا في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ود تيسر لهم كثير من أمورهم وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل"[1].

هـ) المغفرة والرزق الكريم:

من أثاره أيضا المغفرة، والرزق الطيب الكريم المبارك من الرزاق- سبحانه - قال تعالى:

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾(الحج:50).

قال تعالى:﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾(طه:82).

قال تعالى:﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ (الأنبياء:94)

---

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 501.

و) الإستخلاف والتمكين في الأرض:

قال تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(النور:55).

ل) النجاح والفلاح:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾(القصص).

وقال تعالى:﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾(العصر: 1-3).

ذكر الإمام السعدي- رحمه الله- أن العمل الصالح يشمل أفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله- ﷻ- وحق العباد الواجبة والمستحبة[1].

---

[1] المرجع نفسه، ص: 934.

المبحث الثاني

أثار توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم على المجتمع

جاءت الشريعة الغراء محققة مقاصد عظيمة، وهي حفظ الضرورات الخمس، التي هي مقومات المجتمع الآمن، وهي الحفاظ على الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، لتكفل أمن المجتمع، وتقدمه، وعمرانه، حيث أنها- المقاصد- لم تقف عند مقوم واحد فقط واستغنت به عن باقي المقومات اللازمة لنهضة المجتمع وأمنه، بل شملت جميع مناحي الحياة التي تحتاجها المجتمعات الآمنة وجمعت كل المقومات التي تساعد على النهوض بها وتمكينها، مما يضمن الحصانة للمجتمع ليكون الأمان والتكافل والتعايش السلمي صفة ظاهرة وبارزة في الحياة الاجتماعية. وان من أثر توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم على المجتمع أن يسوده الأمن والطمأنينة حيث "يقوم بناء المجتمع المسلم أساسا على وحدة الفكر، وفق مفهوم عقلي وروحي مشترك، من شأنه أن يحقق صهر جميع أفراد المجتمع في بوتقة واحدة بالرغم من تباين أصولهم واختلاف جنسياتهم"[1].

المطلب الأول- الأمن في المجتمع.

المسألة (1) الأمن الإجتماعي:

إن الأمن الاجتماعي في القرآن الكريم "تعبير عن طمأنينة النفوس وزوال الخوف في المجتمع الإنساني المرتبط برباط الأخوة الإيمانية دون النظر إلى جنس أو لون أو لغة"، كما يرى آخرون بأن الأمن الاجتماعي هو "حاجة أساسية تطمح إليها الأفئدة، ومصلحة وطنية حيوية تنشدها الدولة بأجهزتها ومؤسساتها وترصدها بما تضع من خطط وبرامج للتنمية الشاملة، وهو غاية سامية تعمل لتحقيقها منظمات المجتمع المدني كالجمعيات الخيرية التعليمية والاجتماعية، كما أنه ميدان خصب للدراسات الاجتماعية المتخصصة، فالكل يتطلع إلى المجتمع الآمن من

---

[1] مصدر سابق، معلمة الاسلام، ص: 616 .

الآفات التي تهدد بنيانه بالتصدع وكيانه بالأخطار، كالجهل والفقر والمرض، والمخدرات، والجرائم والانحراف السلوكي"[1].

وقد جاء ذكر الأمن الإجتماعي في القرآن الكريم في آيات عدة نذكر منها قوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾(النحل: 112).

- **أثر توجيه الفكر على الأمن الإجتماعي :**

1- الحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية، واتخاذها دستورا، ومنهج حياة يسير عليه المجتمع أفرادا وجماعات، وعدم الالتفات لما قد يثار من شبهات حول تطبيقها وإقامة حدودها، لما لها من دور أساسي لتحقيق الأمن الاجتماعي.

2- التزام الوسطية والاعتدال والابتعاد عن الغلووالتشديد في الدين، وتجنب الإفراط والتفريط فيه، وهذا من أهم الضمانات اللازمة للمحافظة على الآمن الاجتماعي. قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(البقرة: 143).

3- تفعيل دور علماء الشريعة الثقات، ليكونوا مرجعا آمنا للشباب، ومنهلا عذبا ينهل منه كل أفراد المجتمع، لبيان وتوضيح الشريعة الاسلامية ومقاصدها، مما يفعل أيضا واجب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾(آل عمران: 110).

4 - قيام أفراد المجتمع بواجباتهم اتجاه مجتمعهم، وحفظ حقوق بعضهم البعض، مما يؤدي إلى التآلف والتعاون والمحبة بين أفراده، كما يؤدي إلى تقرير حقوق الإنسان، وبيان وجوب أدائها والدفاع عنها، وتحريم انتهاكها، مما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالخير.

---

[1] : بحث بعنوان الأمن الاجتماعي مفهومه، تأصيله الشرعي وصلته بالمقاصد الشرعية، الدكتور رشاد صالح رشاد زيد الكيلاني، ص: 10.

5- رقي المجتمع وتطوره بفكره وعلاقاته، عمرانه، واستقراره بعيدا عن الانقسام والنزاع والتناحر والاضطراب والقلق.

6- الجد والعمل والاجتهاد لتحقيق أهداف وطموح المجتمع الحاضرة والمستقبلية، وإنجاز مخططاته بكل جدارة واقتدار وفاعلية.

7- صيانة المجتمع من إثارة الفتن والخلافات، والقدرة على حصر أية أضرار ممكن أن تظهر بين ظهرانهم، والمساهمة في بناء الوحدة الاجتماعية.

8- صيانة الفكر المجتمعي السوي من الغزو الفكري الأجنبي الذي يسعى إلى تدمير منهجية المجتمع وتشويش فكره وتشويه مبادئه، بأفكار مسمومة غاياتها النيل من مقدرات هذه المجتمعات الاسلامية ومقوماتها، مما يزعزع أمنها وإستقرارها.

9- تحقيق السعادة والإطمئنان والرخاء بين أفراد المجتمع.

10- السمع والطاعة لولي الأمر.

المسألة (2) الأمن الاقتصادي(*)

إن حماية مصالح المجتمع أفرادا وجماعات ومصادر تمويله وتنميته من أهم المرتكزات التي يجب أن تعنى به الجهات المسؤولة لتحقيق الرفاهية لأبناء المجتمع واستقراره، ولا يكن ذلك الا بتحقيق الأمن الاقتصادي في المجتمع لما لهذه المسألة من أهمية بالغة في إعداد النشء السليم بإشباع حاجاتهم الأساسية، من غذاء ومسكن، وتعليم، ورعاية صحية، وغير ذلك من متطلبات الحياة.

أثر توجيه الفكر على تحقيق الأمن الاقتصادي في المجتمع:

إن توافر الأمن الاقتصادي في المجتمع المسلم من مقومات المجتمع الناجح، فالمال مال

(*)"الأمن الاقتصادي حاولت الأمم المتحدة أن تجد معنى جامعاً يفسر الأمن الاقتصادي فتوصلت للتفسير التالي: "هو أن يملك المرء الوسائل المادية التي تمكّنه من أن يحيا حياة مستقرة ومشبعة، وبالنسبة لكثيرين يتمثل الأمن الاقتصادي ببساطة، في امتلاك ما يكفي من النقود لإشباع حاجاتهم الأساسية، وهي: الغذاء، والمأوى اللائق، والرعاية الصحية الأساسية، والتعليم" نقلا عن بحث بعنوان الأمن الاجتماعي مفهومه، تأصيله الشرعي وصلته بالمقاصد الشرعية، الدكتور رشاد صالح رشاد زيد الكيلاني، ص: 11.

الله، والناس مستخلفون فيه، مخولون بالتصرف به ضمن ضوابط وحدود وقواعد جعلها الشرع فروضا تضمن حقوق الجميع من أفراد المجتمع، ومن هذه الآثار :-

1- ازدياد مساحة الحرية لدى أفراد المجتمع للتملك، وتشجيع الإستثمار، والتجارة، في ظل الأمن الاقتصادي الذي ينعمون به، بعيدا عن عوامل الخوف والفزع والروع والقلق،

2- حماية مصالح ومقدرات المجتمع ومؤسساتها من محاولات السرقة والاحتيال والتخريب، والحفاظ على مصادر التمويل اللازمة لتحريك عجلة الصناعة وواتساع رقعة التجارة، ونمو الزراعة وغير ذلك من مقومات النهوض بمستوى الاقتصاد في المجتمع.

3- تحقيق الكفاية الإجتماعية لأفراد المجتمع التي تضمن لهم حياة، حرة، كريمة، تجعلهم أفرادا صالحين قادرين على العطاء للمساهمة في تنمية المجتمع[1].

4- امتلاك القوة الكافية التي تحفظ حقوق المجتمع ومقدراته وتصون ممتلكاته ومدخراته وترد الظالمين والمعتدين وأصحاب المطامع في ثروات المجتمع ومكتسباته.

5- توثيق العلاقة بين أبناء المجتمع الواحد ووطنهم، مما يؤدي إلى عمران الأرض التي استخلف الله سبحانه وتعالى عباده فيها، وارتباطهم بها ارتباطا حميما يحول بينهم وبين الهجرة والتشرد إلى مجتمعات أجنبية أخرى طلبا للرزق والرفاهية، مما يقود إلى انهيار المجتمع وضعفه وتخلفه عن مواكبة ركب الحضارة والتطور والتقدم العلمي والعملي في كافة المجالات وعلى كافة الأصعدة.

6- تطهير المجتمع الآمن اقتصاديا من الآفات التي تهدد بنيانه بالتصدع وكيانه بالضعف، كالجريمة، والجهل، والفقر، والمرض، وغيرها من الانحراف السلوكي.

7- إقامة التوازن الإجتماعي بين الطبقات، وذلك من خلال: ا) تقريب الفوارق بين الأغنياء والفقراء. ب) تنظيم جباية الزكاة وردها ال الفقراء. ج) إقامة التكافل الاجتماعي ورعايته[2].

---

[1]: أبو عطية، السيد، أساسيات الأمن الدولي في عالم متغير، ص: 46، بتصرف.

[2] : للمزيد ينظر في الهاشمي ، د. محمد علي ، المجتمع المسلم، كما بينه الاسلام في الكتاب والسنة، ص: 293- 300.

المسألة (3) الأمن السياسي[*1]:

القرآن الكريم هو منهج رباني أنزله الله تعالى ليحكم حياة المجتمعات الإنسانية بجميع مرافقها، ونجد إشارات في ثنايا الآيات القرآنية تشير إلى الأمن السياسي، والمتدبر لآيات القرآن الكريم يرى أن الآيات القرآنية تتحدث عنه بأهمية بالغة لما له من أثر عظيم في الحياة الاجتماعية التي تربط أبناء المجتمع الواحد حكاما ومحكومين.

و"يقدم الإسلام للبشرية نظاما جامعا متكاملا (القانون- السياسة- الاقتصاد) يقوم على أساس أن الاسلام دين ودولة وعبادة ومعاملة ونظام ومجنمع، ومنهج حياة تشمل مختلف المجالات في نظام الدولة والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، أونظام المجتمع في العقالة بين الفرد والجماعة أونظام المعاملات والبيع والشراء وغيرها"[2].

يعتبر الأمن السياسي من المرتكزات الأساسية التي تدعم قوة المجتمع وتزيد من منعته لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية التي قد تحيط به، وتوطيد قواعد الإستقرار، والسلام في ربوع المجتمع المسلم مما يجعل له أثرا بارزا على أفراده.

- **أثر توجيه الفكر على الأمن السياسي في المجتمع:**

1- الاتحاد، بعد أن قام المجتمع المسلم على أساس الأخوة، أوجب الإسلام عليهم الإتحاد والإلتفاف حول راية القرآن الكريم، وحرم عليهم الفرقة، والتنازع، والإختلاف، ليكونوا يدا واحدة ولسانا واحدا، أوصاهم اذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى الله ورسوله، لنزع فتيل النزاع والإختلاف والفرقة، وحتى نظل الوحدة قائمة والصفوف سليمة متراصة[3].

---

[*] الأمن السياسي: "هو تحقيق كيان الدولة والمجتمع ضد الأخطار التي تهددها داخلياً وخارجياً وتأمين مصالحها وتهيئة الظروف المناسبة اقتصاديا واجتماعياً لتحقيق الأهداف والغايات التي تعبر عن الرضا العام في المجتمع"

[1] هلال، علي الدين ، بين الأمن العام والأمن السياسي، نقلا عن مصدر سابق، رسالة ماجستير، مفهوم الأمن الفكري، ص: 17.

[2]: مرجع سابق، معلمة الاسلام، ص: 599.

[3]: مصدر سابق الاسلام واوضاعنا القانونية ص: 112، بتصرف.

2- الإستمساك بالشورى لتستطبع الجماعة أن تختار الحاكم الصالح للقيام بأمر الله- ﷻ- في الجماعة، وتستطيع كذالك أن تعزله في حال عجزه عن أداء واجباته أوحياده عن الجادة[1].

3- العدل، والمساواة، وتكافؤ الفرص الذي يضمنه الإسلام للقريب والبعيد، وللصديق والعدو، دون محاباة أحد على حساب الآخر، ونبذ المحسوبية العمياء التي تعمل على غرس الضغائن والحقد والكره بين أفراد المجتمع الواحد[2].

4- تنشئة المجتمع تنشئة سياسية واعية، مسؤولة، متزنة، من خلال مشاركة أفراده الحياة السياسية بحرية واطمئنان، والمشاركة في صنع مصير أمته بعيدا عن الفكر السياسي المتطرف والمنحرف.

5- الحد من الظلم والإرهاب والإعتداء على الحريات العامة لأفراد المجتمع والحرص على المصالح العامة والنظام الذي يخدم أفراد المجتمع.

6- إقرار حق النقد البناء الذي يهدف إلى التصحيح والتعديل الإيجابي في أي مسألة تخص المجتمع، وأفراده، مع إفساح المجال لرأي المعارضة والإصغاء لأصحابها، مع محاولة إقناعهم، وتوجيههم نحوالرأي الأصوب والأفضل الذي يخدم المجتمع.

7- زيادة منعة المجتمع المسلم، وشجاعته، وقدرته على مواجهة العدو والذود عن حمى الوطن، والرئاسة والزعامة والريادة بين المجتمعات الأخرى.

المطلب الثاني- أثر الهداية إلى العقيدة الصحيحة في المجتمع:

العقيدة الصحيحة، منهج رباني متكامل، وهي المرجعية السليمة الوحيدة التي تستطيع أن تواكب مستجدات الحياة وأعبائها، بدون أن تقف عاجزة أمام المصاب والملمات التي يمكن أن تحيط بالمجتمع، وتستطيع أن تحتضن أبناؤه وتطلعاتهم وطموحاتهم بلا إرجاف أواضطراب، حتى تؤسس مجتمعا نظيفا، قويا، صالحا، تسوده العدالة والفضيلة.

أثر توجيه الفكر في الهداية إلى العقيدة الصحيحة على المجتمع[3]:

---

[1]: المصدر نفسه، ص: 123، بتصرف.

[2]: المصدر نفسه، ص: 124، بتصرف.

[3] : غرقود، ناصر جبر مراحيل، رسالة ماجستير بعنوان قضايا العقيدة في ضوء سورة الأحزاب، وأثرها على الفرد والمجتمع، ص: 193- 200. بتصرف.

1- تحكيم الشريعة الاسلامية في الأمور كافة، بعد أن كان للعقيدة الصحيحة أثرها البالغ في تعديل واستقامة سلوك الفرد ومنهجه في الحياة، أدى إلى قبول تحكيم شرع الله- ﷻ- في الأمور كافة، وسهولة ويسر تطبيقها على كافة المستويات بلا حرج أوتشدد .

2- الاعتبار بسنن الله- ﷻ- في الذين خالفوا العقيدة الصحيحة واتبعوا العقائد الوضعية.

3- إبطال المعتقدات والعادات والتقاليد والأعراف المخالفة للعقيدة، وذلك لإنقاذ أبناء المجتمع من الضلالات، والإنحرافات الفكرية والسلوكية، التي تؤدي إلى تفتت وتمزق وحدة البناء الإجتماعي، ونشر الفساد، والتخلف والجهل بين أفراده.

4- الحيطة والحذر من أعداء العقيدة كالمنافقين واليهود، وغيرهم ممن يكيدون لهذه العقيدة،

5- تحقيق الإنتصار على أعداء العقيدة والغلبة عليهم، وانتصار الحق على الباطل.

6- نضج الإعلام الإسلامي، وتمكنه من ترسيخ العقيدة الصحيحة في المجتمع، وإبراز مقاصد الشريعة بطريقة سليمة خالية من التشويش، والعبث، والتعتيم المقصود عن مقاصدها، بغرض تعكير صفو المجتمع وإيقاعه في شباك الحيرة والإضطراب، مما يؤدي إلى تغييب الهوية الإسلامية أو تشويشها لدى غيرها من المجتمعات الإنسانية الأخرى.

7- استقلال التخطيط المجتمعي وحريته في كل المجالات التنموية والسياسية والاقتصادية وغيرها من المجالات الهامة التي عليها يقوم بنيان البناء المجتمعي الحضاري.

8- يسود المجتمع الفخر والإعتزاز للإنتساب إلى هذه العقيدة، ويشعر بالعزة والأنفة، والكرامة، بإيمانه، فربهم واحد، ورسولهم واحد، ودستورهم واحد وهذا من أسباب زوال الفرقة والتنازع والتشرذم فيما بينهم، يؤلف بينهم بدون أن يشعروا بفروق طبقية أوعرقية، وقد توحدت آمالهم وألامهم بما ينعموا به من حرية ومساواة.

9- الإلتزام بالعقيدة الصحيحة يؤدي إلى حسن توجيه الفكر المجتمعي وحفظه وصيانته من التعصب المذموم أو الغلو والتشدد في الدين، الذي قد يؤدي إلى تكفير المجتمع، أو نصب العداء لهم، والتجسس عليهم، ومد يد العون لمن ينصب لهم العداء في السر والعلن.

10- التقوى في المجتمع، وأهم أثرين للتقوى في المجتمع المسلم: ا) ان التقوى هي قصب السبق الذي يتنافس حوله المسلمون. ب) ان التقوى هي القيادة الحقيقية للمجتمع المسلم [1].

---

[1]: للمزيد ينظر في المجتمع المسلم منطلقاته وأهدافه، ص: 46- 54.

المطلب الثالث- آثر توجيه الفكر في الهداية إلى مكارم الأخلاق على المجتمع:

القرآن الكريم هو دستور الأخلاق الحسنة، وهو الذي يهدي للتي هي اقوم، وحسن الخلق من جملة ما يهدي إليه، ليقيم المجتمع على أسس وأطر وقواعد تشيد البناء الخلقي الذي يهذب الطبائع والنفوس مما يعين على اكتساب الخلق الحسن، لذا يحشد القرآن الكريم كثيرا من الآيات الكريمة التي تدعوإلى التخلق بالأخلاق الحسنة، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، ليكون المجتمع مجتمعا سويا، مثاليا، رياديا، قائما على البر والتقوى والخير، محاربا للمنكر، والإثم والعدوان، ليكون مجتمعا حصينا رصينا، محميا من كل الأمراض الإجتماعية التي تؤدي بأفراده وجماعاته إلى الهلاك، والضياع، والخسران المبين.

"والأخلاق من جانب آخر، هي أساس نشر السلام الاجتماعي بين أبناء المجتمع، وتحقيق التمسك والتجانس بين أفراد المجتمع الواحد، وبذلك تسود بين أفراده أواصر الألفة، والأخوة والمحبة، والعدالة، والإنصاف، والرحمة والإيثار"[(1)].

1- البر والتراحم في المجتمع، ويشمل القوي والضعيف، والغني والفقير، والقريب والبعيد، بحيث يكون كل منهم بارا بأخيه راحما له عطوفا عليه، ويحب كل منهم أخيه كما يحب نفسه، ليس ذلك فحسب بل يؤثر أخيه على نفسه ما استطاع [(2)].

2- اتقاء المحارم، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير حق، فليس لأي فرد من أفراد المجتمع المسلم أن يبغي ما ليس من حقه، ولا أن يطلب ما ليس له، فلكل فرد منهم حقوقه وحدوده وحلاله وحرامه، ليكون مجتمعا طاهرا من كل ما تكرهه النفس السوية وتمقته[(3)].

3- نماء المجتمع وتزكيته، وسمو أهدافه وارتقاء أفكاره، وطموحه مما يزيد مكتسباته ويميز إنجازاته.

4- تربية المجتمع تربية إيمانية تنمي بواعث التمسك بالأخلاق الحسنة، والخصال الحميدة، وتوجيهه لإكتساب الفضائل وتجنب الرذائل لتحقيق النهضة الإجتماعية السليمة.

5- قوة المجتمع وزيادة إنتاجه بفتح أبواب العمل الخيري والتطوعي، للتواصل والانفاق على

---

(1) : مرجع سابق، الموسوعة الجامعة، مج1، ص: 15.

(2) : مصدر سابق، الاسلام واوضاعنا القانونية، ص: 122، بتصرف.

(3) المصدر نفسه، ص: 113، بتصرف.

الفقراء والمساكين، وزيادة الأنشطة المجتمعية التي تصب في عمل الخير والبر، لأن العقيدة والأخلاق الحسنة هب المحرك الساسي للمجتمع الصالح.

6- كثرة الرزق وعموم الخير والبركة في المجتمع الصالح.

7- اكتساب المجتمع الصالح هيبة وإجلالا واحتراما من قبل سائر المجتمعات الإنسانية الأخرى حتى يصبح نموذجا وقدوة يحتذى به.

8- شعور المجتمع بالأمن والطمأنينة، وزيادة الإقبال على الطاعة والعبادة، وهجران المعاصي، مما يوجب تعظيم حرمات الله، وشيوع روح المحبة والألفة والاخلاص والتعاون والترابط بين أفراد المجتمع، وهذا لأن الأخلاق الحسنة سبب كل صلاح، وعمدة كل فضيلة.

المطلب الرابع- أثر توجيه الفكر في الهداية إلى العمل الصالح على المجتمع:

إن من أبرز معالم المجتمع السوي هوأنه من صنع القرآن الكريم، المبني على العقيدة والأخلاق والعمل الصالح، "فالعلاقة في مجتمع المؤمنين ليست علاقة الدم والقرابة وليست علاقة القبيلة والأسرة إذن، إنما علاقة الإيمان بالله والعمل الصالح"[1].

"والعمل الصالح يكون فيما فيه خير وصلاح والدين والدنيا، وصلاح المجتمع أفرادا وجماعات، وتدخل فيه العبادات والمعاملات كافة" [2]. وكما أن للعقيدة الصحيحة والأخلاق الحسنة أثر كبير على صلاح المجتمع كذلك العمل الصالح هوثمرة هذه العقيدة والأخلاق الحسنة، وهومن أبرز ما يمكن أن يترجمهما ترجمة عملية تطبيقية، ومن هذه الآثار نذكر الآتي:

1- انتشار الخير والسلام والتعاون، وترسيخ معاني الإخوة والترابط بين أفراد المجتمع، بدلا من الشحناء والبغضاء، والحقد، والفرقة والتنازع، وبذلك يعيش المجتمع في رفاهية وأمن واستقرار، بعيدا عن كل ما يمكن أن يهدد أمنه واستقراره.

2- المحافظة على بقاء المجتمع ونموه وازدهاره لان الله تعالى يدفع البلاء عن المجتمع الصالح بالإصلاح وبوجود الناس المُصلحين، أفراداً وجماعات، وفي ذلك يقول تعالى:﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** ﴾ **(هود:117)**.

---

[1] : البهي، د. محمد، القرآن والمجتمع، ص: 68.

[2]: الهاشمي، محمد علي، المجتمع المسلم كما بينه الاسلام في الكتاب والسنة، ص: 326، بتصرف

"نجد هنا في هذه الآية ارتباطا وثيقا بين بقاء المجتمع وعدم سقوطه أوتغييره من جانب... ومباشرة أفراده لمنهج السلوك المستقيم من جانب آخر. وهذا الارتباط قانون اجتماعي مفاده: ضمان بقاء المجتمع.. أوضمان استقراره وبعده عن القلاقل والإضطراب: بأداء كل فرد فيه ما يجب عليه، وأخذ ما له من حق.."[1].

3- عمران الأرض وصلاحها، وكبح جماح الفساد منها بقدر الإمكان، وذلك بوجود المصلحين اليقظين، العالمين، العاملين، ليلا ونهارا، لسد أبواب الفتن والفساد ونشر التوعية اللازمة لأفراد المجتمع، وحثّهم لمكافحة الباطل وفساده، يقول تعالى:﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾(الأعراف/ 85).

ويقول تعالى:﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ (الروم/ 41).

ويقول تعالى:﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾(البقرة/ 251).

4- الإستباق إلى فعل الخيرات، والتنافس على العمل الصالح، قال تعالى:﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(البقرة: 148)

5- حسن التوافق الإجتماعي، وفيه تحفيز لأفراد المجتمع بإثارة إحساس التوافق مع الآخرين، وهذا ما يزيد حيوية المجتمع وفاعليته، وذلك عبر ثلاث أسالب: ا) القدوات الصالحة. ب) التنافس الإيجابي. ج) تبادل المنفعة[2].

6- الحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(آل عمران: 110). قدم الله- ﷻ الأمر بالمعروف

---

[1] : المصدر السابق القرآن والمجتمع، ص: 120.

[2] : للمزيد ينظر المدرسي ، محمد تقي ، المجتمع الاسلامي، منطلقاته وأهدافة، ص: 74- 79.

والنهي عن المنكر على الإيمان، أساس كل عمل صالح، لما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهمية بالغة في المجتمعات وحملها دوما على الجادة المستقيمة، التي تقودهم إلى البر والتقوى، والنهضة، وتطهير المجتمع وتنقيته من كل ما يمكن أن يشوبه من المنكرات والضلالات والبدع والآثام.[1].

7- تنشئة جيل رباني مستقيم، سوي، صالح، قادر على تحمل المسؤولية، وذلك من خلال معايشته التطبيقية لروح الإسلام- الإيمان- وثمرته- العمل الصالح- وأثره في حسن التوافق الإجتماعي وغير ذلك- مما تم ذكره- ومن خلال نقل الخبرات وتوارثها عبر الأجيال، حتى يصبح السعي إلى العمل الصالح طبع وسجية في المجتمع المسلم.

---

[1] : مصدر سابق، المجتمع المسلم كما بينه الاسلام في الكتاب والسنة، ص: 457.

المبحث الثالث

أثر توجبه الفكر الإنساني في القرآن الكريم على مستوى الأمة

المطلب الأول: الأمن العام في الأمة.

المسأله (ا): الأمن الداخلي في الأمة:

الأمن الداخلي في الأمة من أهم التحديات التي يمكن أن تواجه الأمة الإسلامية، ومن أهم الإنجازات التي يجب أن تحرص الأمة على تحقيقه، ذلك لتأثير الأمن البالغ على كافة مجالات الحياة السياسية والإجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والفكرية التي هي عصب الأمة، وعمودها الفقري والذي يعينها على النهوض، والتقدم، الإزدهار. والأمن الداخلي يتصدر أهم المهمات المناط بها على كاهل الأمة.

- **أثر توجيه الفكر في تحقيق الأمن الداخلي على الأمة:**

1- النمو والتقدم في كافة المجالات التنموية وعلى كافة الأصعدة التي تخدم أهداف الأمة وتطلعاتها.

2- القدرة على مناهضة الفساد بأشكاله وأنواعه ومنها مخاطر الاختراق الفكري والثقافي، والفساد الإداري والإجتماعي والإقتصادي والسياسي وغيره.

3- ضمان سلامة الأرواح والأعراض والممتلكات والبيئة من كل خطر، وسلامة الترحال والتنقل من مكان إلى آخر بكل أمان وراحة وسلام.

4- أنتشار الوعي الكافي بين أبناء الأمة بأن الأمن الداخلي مسؤولية جماعية، وكل فرد له دوره وفعله في تحقيقه وترسيخ قواعده.

5- الحد من عوامل ومسببات الإنحراف والإجرام، والتعاون المشترك بين أبناء الأمة الواحدة للوقاية منها، وذلك بخلق رادع ذاتي يحول بينهم وبين ارتكاب الجريمة أوالإنحراف ليشمل الأمن جميع مناحي الحياة وذلك بنشر ثقافة الأمن بين أبناء الأمة، بتظافر جهود كل من

الأسرة والمدرسة والجامعات والمؤسسات والهيئات المختلفة، والسلطات ومنها سلطة الإعلام.

6- حرص أبناء الأمة على الالتزام بالتشريعات، والأحكام والحدود، لتحصين الأمة، ورفع شأنها، لتحتل موقع الصدارة، والزعامة، والريادة، بين الأمم.

7- السيطرة على الرأي العام للأمة بتوحيد الرؤى والأهداف والمنطلقات الإستراتيجية للأمة، وبيان هذه المسائل للعيان، بلا تخوف أو إرجاف، مما يساعد على تضامن أبناء الأمة وتبنيهم لهذه الرؤى والأهداف، والمنطلقات الإستراتيجية، مما يزيدهم قوة ومنعة وتماسكا للتنسيق والتعاون والمشاركة الكاملة لتحقيقها بما أنها تصب في مصلحة الأمة وتخدمها.

8- تعزيز الانتماء للأمة، والهوية الاسلامية، والدستور القرآني والهدي النبوي.

9- توفير المناخ المناسب للإنتاج والابداع العلمي والفكري وزيادة فرص ومجالات التعليم، وتطويره وتعميقه للإعداد للمستقبل وما يحتاجه من علوم وأبحاث علمية، واكتشافات واختراعات تعمل على سد احتياجات الأمة، وفي كل المجالات، الطبية، والاقتصادية، والإجتماعية، والأمنية، والعسكرية... وغيرها.

10- القدرة على مواجهة الإرهاب والتطرف اللاديني، الذي يدعي الإلتزام والإتباع، والدين منهم براء، وما هم إلا اصحاب فكر منحرف خارجين عن قيم الأمة، ومقاصد الشريعة السمحة.

المسألة (2) الأمن الخارجي.

الأمن الخارجي، أصل أصيل وركن شديد، تطمح الأمة[1] الإسلامية للوصول إليه، وتعمل جاهدة لتحقيقه، وتنبع أهمية الأمن الخارجي من أهمية الدور المناط به على مستوى الأمة

(*) : معاني الأمة في القرآن الكريم: 1- الجماعة والعصبة، ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(البقرة: 128) ..2- الدين، ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: 22). 3- الجماعة، ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (يونس: 47). 3- أمة محمد- ﷺ- ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ

=

برمتها، حيث تتمثل أهميتها البالغة في حماية القيادة وأفراد الأمة، ومقدرات الأمة وممتلكاتها، وسيادتها وأمنها الداخلي بكل أشكاله وأنواع، لتحقيق بيئة آمنة ومحضن خال من أي مخاطر، والقدرة على جهاد العدو وحماية البيضة.

أثر توجيه الفكر في تحقيق الأمن الخارجي على الأمة :

1- عدم السماح للتدخل الأجنبي في شؤون الأمة الاسلامية، ضمان حقوقها في جوها وبرها وبحرها وثرواتها، بلا منازع أوتدخل أجنبي يحول بينها وبين حقوقها.

2- مقاومة الغزو الفكري والثقافي الأجنبي الشاذ، وتقعيد الأصول الفكرية والثقافية الصحيحة التي تدور حول قطب الاسلام ومقاصده.

3- قطع أطماع الدول الأجنبية بأراضي الأمة الاسلامية ووثرواتها ومقدراتها.

4- امتلاك الأمة العدة والعتاد اللازمة لمواجهة أي عدوان غاشم على أراضي الأمة ومقدساتها وثرواتها ومقدراتها.

5- اتحاد الدول الإسلامية وتماسكها لمواجهة أي تهديد خارجي ممكن أن يستهدف الأمة.

6- تنسيق مواقف الدول الإسلامية في المنظمات الدولية باتجاه تعزيز عناصر الأمن الإسلامي وتقويته.

7- تحقيق عالمية الأمة الإسلامية(*)، في شتى بقاع الأرض، مما يساعد على نشر العقيدة الصحيحة فيها بلا اضطراب أوإرجاف.

=

﴿ مِّنكُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾، (آل عمران: 110).

4- جماعات الخلق، ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنعام: 27)،

5- الرجل الذي لا نظير له، ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾. 6- بمعنى الحين والمدة، ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾(هود: 8)، ينظر في الأمة الاسلامية رؤية جديدة معاصرة، د. محمود عكاشة، ص: 7- 13.

(*) عالمية الأمة الاسلامية: بعث الله- ﷻ- لكل قوم نبي أو رسول خاص بهم، وأرسل الله سبحانه محمدا- ﷺ- للناس كافة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

=

8- القدرة على رسم الخطط الإستراتيجية، وعقد الإتفاقيات الدولية، وإبرام المواثيق والعهود اللازمة لزيادة استثماراتها وفتح أسواق عالمية لها تساعدها في زيادة ثرواتها ومقدراتها وتقوية اقتصادها وتعزيزه وزيادة قوتها العسكرية وأمنها.

9- القدرة على رصد أي خيانات أوتحركات خارجية إرهابية تسعى للتخريب، أوتجنيد بعض المخربين والإرهابيين، وتمويلهم تمويلا خارجيا للحصول على الاسلحة، أوأي شيء آخر من شأنه زعزعة الأمن الداخلي للأمة، والعمل على مكافحته، وحصاره في بوتقته قبل أن ينتشر ويصعب إدراكه، وتكثيف الجهود للوقاية من الوقوع فيه بكل ما أوتيت الأمة الإسلامية من قوة وسلطات.

10- الإتحاد بين أبناء الأمة وجماعاتها ودولها وحكوماتها وولاة أمورها، ونبذ الصراعات، والنزعات، والإفتراق، والتعادي، الذي يؤدي إلى تفتيت الأمة وتقطيع أواصرها.

فلأمن الخارجي هو الدرع الحقيقي لتوفير مناخ آمن يسود الأمة، ويزيد من حيويتها وتأثيرها على باقي الأمم.

المطلب الثاني- أثرتوجيه الفكر في الهداية إلى العقيدة الصحيحة على الأمة:

جاءت العقيدة الصحيحة بالخير الكثير الذي عم جميع أوصال الأمة الاسلامية، لينعشها ويغذيها، ويرفدها، بكل ما هوحسن، ومفيد، وذو قيمة وأهمية، واثر، وكيف لا تكون كذلك وهي من عند خالق البشر- سبحانه- وهوأعلم بما ينفع عباده وما يضرهم. فالعقيدة الصحيحة تدفع الأمة إلى معالي الأمور وتقودها إلى السؤدد، وتحجز عنها ما يضرها أويضعفها أويقلل من شأنها،

=

(سبأ: 28) أي الى جميع الخلق، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(الأعراف: 158)، وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(الفرقان: 1).

"الأمة في الاسلام تعني جميع أبناء العقيدة الاسلامية في شتى بقاع الأرض، وهي بهذا لا تفرق بين الأجناس والألوان، أو الطبقات ولا يعوق امتدادها حدود الأوطان أو عوامل الطبيعة الجغرافية أو الظروف السياسية، فهي تتجاوز حدود الدولة السياسية إلى كل مكان يحيا عليه مسلم في العالم" المصدر السابق، ص: 85.

والتي من أشدها وأخطرها الشرك بالله- ﷻ- لما له من أثر جسيم في وقوع الخلافات، والإضطرابات، والقلاقل، وانتشار الفساد، والفوضى في حياة الأمة.

لذا فإن الآثار المترتبة على العقيدة الصحيحة في الأمة آثار عظيمة نذكر منها[1]:

1- استقلال الأمة، الذي هوعنوان كرامتها ووجودها في هذه الأرض، ولا يتم هذا إلا باستقلالها في إيمانها وعقيدتها، فالأمة التي لا تستقل بعقيدتها، ولا تعتصم بتوحيد ربها سبحانه، تعيش حياة التبعية لغيرها، والأمة التي لا تنبثق دساتيرها من عقيدتها وشريعتها لا يمكن أن تستقل أبدا.

2- الثقة واليقين بنصر الله-ﷻ- للمؤمنين وتحقيق وعده لهم بإستخلافهم في الأرض وتمكينهم فيها، وإزالة أي سلطان يخالف التوجيه الرباني، فالأمة المسلمة الموحدة على يقين وثقة من ربها، مؤمنة به متوكلة عليه في كل شؤونها وأمورها.

3- توحيد وتقوية صفوف المسلمين، وتوحيد كلمتهم وتجميع قلوبهم على البر والتقوى، وتوجيه جهودهم لما فيه مصلحة البلاد والعباد قال تعالى:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

4- تحقيق الأمن العام للأمة، بترسيخ مقاصد الشريعة ومراميها وأهدافها في نفوس أفرادها، وبتأصيل معالم الفكر وحسن توجيهه لديهم.

5- قيام دولة اسلامية حصينة، رصينة، ذات دستور رباني متكامل، قادر على معايشة الواقع، ومواكبة التطورات والمستجدات، والمتغيرات، ذا منهج واضح في مواجهة القضايا المعاصرة.

6- زيادة انتماء أبناء الأمة والتفافهم حول القيادة الرشيدة، والسمع والطاعة لها، التواصي بالصبر والتناصح بالحق، والعمل المشترك لرأب الصدع والبناء من أجل سيادة هذه الأمة وظهورها.

---

[1] بحث بعنوان العقيدة الصحيحة وأثرها في حياة الأمّة، محمد إبراهيم أحمد، جامعة ام درمان الإسلامية- قسم العقيدة، ص: 10- 15، بتصرف.

7- القدرة على الإنفتاح على الأمم الأخرى، بدون التأثر بها وبحضارتها البعيدة عن المثل والقيم والأخلاق الاسلامية، وتقليدها تقليدا أعمي لا فائدة منه ترجى، ولا مصلحة للأمة فيه، بل على العكس تماما، يكون الإنفتاح هذا سببا في الثبات، والإعتزاز بقيم وأخلاق هذا الدين الحنيف، وسببا لتقديم طهر وسماحة هذا الدين لهم، بواقع عملي يترجم لب هذه العقيدة.

8- اتساع نطاق خدمة كتاب الله- ﷻ- وعلومه، وسنة رسوله الكريم وعلومها، تدريسا ومدارسة، وعلما وتعليما وتطبيقا على مستوى أممي يليق بعظمة هذا الكتاب الكريم وعظمة السنة البنيوية الشريفة، لبسط هيمنتهما على جميع العلوم والدراسات الإنسانية الأخرى.

9- ترسيخ عقيدة الولاء والبراء في نفوس أبناء الأمة للأمة وقيادتها، والتحذير من موالاة غير المسلمين، وقد "ورد في القرآن الكريم آيات عدة تتضمن تحذيرا واضحا للمسلمين من أن يتولوا أعدائهم ويتخذونهم بطانة لهم. مهما كان السبب لما في ذلك من تعريض مصلحة المسلمين وكيانهم للخطر. وكل تساهل في هذا الشأن يتنافى مع صدق الإيمان والإخلاص لله سبحانه، ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (آل عمران: 28)" [1].

المطلب الثالث- أثر توجيه الفكر في الهداية إلى الأخلاق الكريمة على الأمة:

الأخلاق الحسنة من أعظم مقومات هذه الأمة، ومن أجل ما تتميز به، والأخلاق تعكس الصورة الحقيقية لثقافة هذه الأمة وحضارتها، بما تحمله من محاسن وسجايا حميدة، وقيم، تقوم على أساسها، وتستقل بذاتها، وأخلاق الأمة الإسلامية مصدر عز وفخر، يجعلها شامخة، سامقة، بين باقي الأمم، وقد توج التاريخ حضارة هذه الأمة بأسطر من ذهب، لما كانت تحمله من عقيدة وأحكام وأخلاق، وعندما تخلت هذه الأمة عن أخلاقها وتهاونت فيها ذلت، وضعفت وأستهين بها، وكم من أمة عزت أفرادها ولوكانت كافرة، لذا فإن المقياس الحقيقي لقيام الحضارات وديمومتها، هو أخلاقها، ومن آثار الأخلاق الفاضلة في الأمة:

1- تبين الأخلاق الحسنة محاسن هذا الدين وكماله وجماله في عقيدته ومعاملاته، وعباداته، وآدابه، مما يعكس صورة حسنة في نفوس الأمم الأخرى، حيث "ان كثيرا من الأمم في آسيا

---

[1]: مرجع سابق، عقيدة المسلم، ص: 344.

وافريقيا، تأثروا بالتجار المسلمين، الذين كانوا يفدون إليهم في الشؤون التجارية، وقد رأوا منهم حسن المعاملة، والصدق والامانة، مما كان له أكبر أثر في انتشار الاسلام..."[1].

2- تعرض الدين الإسلامي بأسلوب راق، وواقعي، بعيدا عن التشدد والتزمت الذي يتهم به أبناء هذه الأمة، مما يعين على إبطال الشبهات والأكاذيب والإفتراءات، المجندة لتشويه صورة الإسلاميين، وأهدافهم، ونقض ما يحتجون به من أن الإسلام وجه من وجوه الإرهاب الدولي.

3- تزايد عدد الراغبين في الدخول إلى الإسلام، لما تبين لهم من حقيقة هذا الدين، وما يترتب على الدخول فيه من فوائد عظيمة وثمار نافعة، تعود على أبنائهم وأسرهم ومجتمعاتهم ودولهم من خيري الدنيا والآخرة، وبعد إزالة ما كان يرسخ في وجدانهم من تصورات مشوهه وومفاهيم خاطئة عن هذا الدين.

4- تساهم الأخلاق الحسنة في حفظ الأمن العام للأمة، حيث أنها تمنع كثيرا من المفاسد، والشرور، والعواقب الوخيمة التي لا يحمد عقباها.

5- تكسب الأمة الاسلامية ثقة واحترام الأمم الأخرى، بالرغم من اختلاف المنهج، والعقيدة فيما بينهما، عند مقارنة بين ما في هذه الأمة من محاسن وكمالات وإيجابيات، وبين ما في عقائدهم من مساوئ ونقصان وسلبيات وتناقضات.

6- قيام الحضارة الإسلامية، وبقاءها حيث "تمثّل الأخلاق والقيم الجانبَ المعنوي أو الروحي في الحضارة الإسلامية، وأيضًا الجوهر والأساس الذي تقوم عليه أي حضارة، وفي ذات الوقت تضمن سر بقائها وصمودها عبر التاريخ والأجيال، وهوالجانب الذي إذا اختفى يومًا فإنه يُؤذِنُ بزوال الدفء المعنوي للإنسان، الذي هورُوح الحياة والوجود؛ فيصير وقد غادرت الرحمة قلبه، وضعف وجدانه وضميره عن أداء دوره، ولم يعُدْ يعرف حقيقة وجوده فضلاً عن حقيقة نفسه، وقد بات مُكبَّلاً بقيود مادية لا يعرف فِكاكًا ولا خلاصًا"[2].

7- تعد وسيلة من وسائل بناء الدولة القوية، وتحقيق الإزدهار الاقتصادي، والتقدم الحضاري، في كافة حقول المعرفة، ومختلف جوانب الحياة الأخرى. فالتقدم والرقي لا يمكن أن يتحقق،

---

[1] : مصدر سابق، عقيدة المسلم، السائح، ص: 352

[2] : السرجاني، د. راغب، الأخلاق والقيم في الحضارة الاسلامية، ص: 9.

إلا ببناء الإنسان وتربيته على الفضائل التي تدفعه إلى الإبداع والإختراع والبذل والتضحية من أجل مجتمعه، وأمته والإنسانية جمعاء.[1].

8- الأخلاق الحسنة سبب من أسباب استتباب السلام بين البشر والقدرة على التعايش مع الأمم الأخرى، بالقضاء على أسباب الخلاف الطبقي أوالعرقي أوغير ذلك، وتلافي التصادم بين الأديان والأمم والحضارات. فهي تحرم الإعتداء على حقوق الآخرين ولوكانوا من غير أهل الملة، وتؤكد الوفاء بالعهود والعقود والمواثيق، وتدفع إلى الإحتكام- في مسائل الإختلاف إلى القوانين والشرائع المرعية [2].

المطلب الرابع- أثر توجيه الفكر في الهداية إلى الأعمال الصالحة على الأمة:

العمل الصالح من مسببات استخلاف الله- ﷻ- الانسان في الأرض وتمكينه، فلا يمكن أن يجيء الإستخلاف بلا عمل وجهد مستمر، ولقد وعد الله- ﷻ- عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالإستخلاف في الأرض، فلم يجعل الإيمان وحده هوالذي يرشح المؤمنين للإستخلاف، وإنما وعد المؤمنين بالإستخلاف اذا عملوا الصالحات، والمقصود بالصالحات كل ما يصلح شأن الأمة في الدنيا من الأعداد والإستعداد والتفوق، ببذل الوسع والطاقة في سبيل تحقيق ذلك، وما يصلح شأنهم في الآخرة من الطاعة واجتناب المعاصي، ودرء المفاسد، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(النور: 55) [3].

---

[1] : مرجع سابق، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، ص: 15.

[2] : المرجع نفسه، ص: 15- 16، بتصرف.

"لا ريب أن الاسلام هو الحل الوحيد لكل ما يعاني منع العالم اليوم من مشاكل أخلاقية وسلوكية، بعد أن فشلت كل التجارب مع المبادئ والنحل الأخرى كالرأسمالية والشيوعية. كما أحرى بالعالم الاسلامي، أن ينأى بنفسه عن تلك الآثار والمبادئ الهدامة الفاسدة الغريبة عنه، ويتدارك ما علق بحياة الأمة وشعوبها من أدران الماضي، ويصوغ حضارته الجديدة وفق مفهوم أخلاقي يتناسب مع متطلبات الواقع، ويتوافق القيم الاسلامية، وتراث الأمة العظيم" المرجع نفسه، ص: 26

[3] : عودة، عبد القادر، الاسلام وأوضاعنا السياسية، ص: 15، بتصرف .

=

ومن هذه الآثار:

1- فتح أبواب الخير والمنفعة على أبناء الأمة، ليلج إليها كل محتاج، وإغلاق أبوب الشر فيها لئلا يلج إليها أحد، وذلك بإبعادهم وصرفهم عن كل ما يؤول إلى فساد وانحراف في الأخلاق والسلوك.
2- علو الهمة وقوة العزيمة والرشد، الأمر الذي يساعد على خلق روح المنافسة بين أبناء هذه الأمة للمبادرة إلى الأعمال الصالحة، وبذل كل الوسع والطاقة اللازمة لبلوغ أسباب العيش الهنيء.
3- التنويع في الأعمال الصالحة، مما يدر النفع العظيم، على أبناء هذه الأمة بشكل خاص، والإنسانية بشكل عام.
4- بناء صرح الحضارة الإسلامي، ببذل الوسع والطاقة لعمارة الأرض، والقيام بواجب الإستخلاف فيها، وهذا من أعظم المطالب وأجل المقاصد، لخلق الإنسان في هذه الأرض، ليتيح لأبناء الأمة القيام بواجباتهم في ظل شريعة ناصحة لهم.
5- يعم النظام ويزداد الإنتاج ويكثر الخير في كل مجالات الحياة، مما يقوي الاقتصاد الإسلامي على مستوى أممي، وهذا ما يجعل الأمة الإسلامية تتبوأ مكانة سامية بين الأمم.
6- تقوية الرابطة التي تربط بين أبناء الأمة الواحدة- رابطة لا إله الا الله- وهذا من أهم المهمات، وأعظم الواجبات التي يجب أن يسعى إليها المسلمون في عموم البلاد، لتحقيق الوحدة والإعتصام بحبل الله المتين.
7- تأليف قلوب المساكين والفقراء اتجاه هذا الدين سواء من أبناء هذه الأمة أومن غيرها فتزداد الوشائج المباركة، والوفاق الكريم، والحب والإخاء، بين الناس على مختلف الطبقات والأعراق والأجناس.
8- إقامة مشاريع خيرية دعوية في كثير من أنحاء العالم، مما يسهم في نشر الدعوة الإسلامية، والتعريف بهذا الدين بعيدا عن أصداء أبواق الإعلام المستهدف.
9- تقوية وزيادة الإيمان في نفوس أبناء الأمة، حيث أن الأعمال الصالحة ثمرة الإيمان اليانعة، فالزيادة بالعمل الصالح يتبعه زيادة وقوة في الإيمان.
10- إيثار معالي الأخلاق والشيم والسجايا الطيبة، في نفوس أبناء هذه الأمة مما يكفل تحقيق عزهم وسعادتهم ويبعدهم عن مواطن الريب والفتن والشر والفساد.

=

- العزم والعزيمة: عقد القلب على إمضاء الأمر، يقال: عزمت الأمر، وعزمت عليه، واعتزمت. قال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران/ 159]، مفردات الفاظ اللغة، الراغب الأصفهاني، ج2، ص: 516.

- الرشد والرشد: خلاف الغي، يستعمل استعمال الهداية، يقالك رشد يرشد، ورشد، المرجع نفسه، ص: 308

الخاتمة

الحمد لله أولا وآخرا، والشكر والفضل له ظاهرا وباطنا، على ما أسبغ علينا به من نعم، وتوالى علينا به من منن، ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(النمل: 19).

أما بعد:

هذا ما يسره الله- سبحانه وتعالى في بيان أصول القرآن الكريم في توجيه الفكر الإنساني وآثاره على الفرد، والمجتمع، والأمة، ولا أدعي الكمال والإحاطة فما هذا إلا جهد المقل، ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(البقرة: 32)

ولكني أرجو أن تكون هذه الدراسة نافعة، ذات قيمة علمية معتبرة، ترضي الله- ﷻ- عنا ورسوله، وننفع بها الأمة، وفي نهاية المطاف أختم بأهم النتائج التي توصلت إليها والتوصيات.

أهم النتائج:

1- أن الطريقة المثلى لتوجيه الفكر الإنساني هي طريقة القرآن الكريم بحججه الناصعة وبراهينه الساطعة، المستندة على أصول ثابتة وراسخة، وعندما نتأمل في هذه الطرق نجد أنها تتركز في النقاط التالية:

ا) اطلاق العنان للفكر الإنساني ليحلق في محراب الكون، ولينظر فيما يحيط به من محسوسات ليهتدي بها إلى خالق هذا الكون ومدبره.

ب) ذكر البراهين الدالة على مصداقية هذه الرسالة، ليهتدي أصحاب العقول المنصفة إلى الحق، وتقام الحجة على أصحاب العقول المنكرة والمنحرفة.

ج) إبطال شبهات الكفار والمشركين، ونقض ما يجادلون به ويحتجون به من شبهات وادعاءات ما أنزل الله بها من سلطان.

د) الجمع بين ما يستدل به الفكر والنظر من حقائق وبين ما جاء به التنزيل.

هـ) بيان مميزات ومحاسن وكمال وجمال هذه العقيدة التي جاءت منسجمة مع الفطرة الإنسانية، والعقل.

2- ان خطاب القرآن الكريم للفكر الإنساني وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، عجزت عنه كل المذاهب والمنابع والمشارب الوضعية.

3- أن الكتاب المنظور يفسر كثير من آيات الكتاب المسطور، ويشرحها ويبين أغوارها، لذا الجمع بين القراءتين- قراءة الكتاب المنظور والكتاب المسطور- من أوجب موجبات الفهم والعلم والمعرفة التي يهتدى بها إلى حسن الاعتقاد.

4- لا بد للمسلم أن يكون مدركا لجملة هذه الأصول، ليتحقق له بالعلم والمعرفة بها، الحصانة الفكرية التي تقيه الوقوع في المزالق والمهاوي الفكري المشوشة والمشوبه بكثير من الخلط والأوهام والترهات الغير معقولة والغير منطقية.

5- أن يعلم الفرد علم اليقين أن القرآن الكريم بتوجيهاته السديدة، وإرشاداته الحكيمة، صان حقوقه وحفظها، وتكفل بها، وهذا من عظيم رحمة الله- سبحانه وتعالى- بعباده حيث أنزل عليهم شريعة ناصحة، مصلحة، متكفلة بسعادتهم وأمنهم في الدنيا والآخرة.

6- أن القرآن الكريم قد أفاض في الحديث عن التفكر والنظر والتدبر، والتبصر، وبأساليب منوعة وطرق مختلفة، مما يدل على أثر ذلك في إعمال القرائح وما ينتج عنه من أفكار لواقح تسهم في ترسيخ عقيدة التوحيد في نفوس أبناء هذه الأمة، لتكون خير أمة أخرجت للناس.

7- أن التوجيه الفكري السليم من أهم مكتسبات الأمة، جماعات وأفراد، لما له من أثر بالغ في وحدتها وقوتها وعزتها ونصرها وأمنها، تمكينها.

التوصيات:

1- حث طلبة العلم على التوجه لمثل هذا النوع من الدراسات التي تناقش الفكر الإنساني، ومتطلباته، وأهميته، وآثاره، واخطاره، على الأمة، والمجتمع، والفرد، من منطلق القرآن الكريم، والسنة النبوية، حيث وجدت النزر اليسر في المصادر والمراجع التي تبحث في هذا الموضوع بشكل مستقل، ومع ذلك لا تشبع هذا الموضوع بحثا ودراسة ولا تحيط به إحاطة كافية.

2- ضرورة اهتمام أصحاب الفكر السليم في نشر التوعية الفكرية، لشريحة الشباب المسلم، وتكثيف الجهود لبيان أثر التوجيه القرآني للفكر الإنساني.

3- كما أوصي بتجديد الخطاب الواعي للفكر الإسلامي، لمواجهة تحديات العصر، ومواكبة تطورات وتصورات وثقافات الغير بما لا يمس ضوابط ومرتكزات ديننا الإسلامي.

4- ضرورة الاهتمام بتعرية الفكر الأجنبي الذي يقوم على تأليه العقل، ونبذ الدين وتصويره بالتخلف والرجعية والجمود، وبالمقابل بيان حيوية الدين الإسلامي وصلاحه لكل زمان ومكان لأنه رباني المصدر.

5- كما أوصي علماء هذه الأمة بتوحيد الجهود وتكثيفها والعمل على التصدي لكل من تسول لهم أنفسهم دس السم في فكر أبناء هذه الأمة، لمسخ هويتهم وتشتيت طاقاتهم، والعبث في مقدراتهم وتضييع عقولهم وحقوقهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- أبادي، محمد بن العقرب الفيروز (ت 817 ه)، **القاموس المحيط**، تحقيق: عبد الخالق، السيد عبد الخالق، مكتبة الايمان، المنصورة- مصر، 2009م.

3- ابن القيم الجوزية، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الدمشقي، (ت 751 ه)، **بدائع الفوائد**.

4- ابن القيم الجوزية، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الدمشقي، (ت 751 ه)، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والأرادة**، صححه وحققه: ربيع، محمود حسن، الأزهر، الطبعة الثانية، 1939م.

5- ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت 1284 ه)، **تفسير التحرير والتنوير**، ج : 23، دار الكتب التونيسية، تونس .

6- ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت 1284 ه)، **تفسير التحرير والتنوير**، ج: 12، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

8- ابن عطية، ابي محمد عبد الحق الأندلسي، (ت 541 هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، الطبعة الأولى، ج : 15، تحقيق وتعليق: الأنصاري، عبد الله ابراهيم، ابراهيم: السيد عبد العال السيد، مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر،، الدوحة، 1988م.

9- ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت774 هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ج: 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.

10- ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت 711 هـ)، **لسان العرب**، ج:13، ج: 3، دار صادر، بيروت. 1388هـ.

11- ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت 711 هـ)، **لسان العرب**، ج:8، دار الفكر، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، 1994م.

12- ابو عطية، السيد، (2013م)، **سياسات الأمن الدولي في عالم متغير**، الطبعة الأولى، الاسكندرية- مصر، دار الفكر الجامعي.

13- أحمد، سهير كامل، (2000م) **التوجيه والإرشاد النفسي**، الاسكندرية، مركز الاسكندرية للكتب.

14- أرنولد، أنطوان، ونيكول، بيير، (2007م)، **المنطق أو فن توجيه الفكر**، الطبعة الأولى، ترجمة: قنيني، عبد القادر، الدار البيضاء- المغرب، المركز الثقافي الغربي.

15- الأشقر، عمر، (1999م)، **العقيدة في الله**، الطبعة الثانية عشر، دار النفائس .

16- الأصفهاني، الراغب،(ت 502 هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق وضبط: عيتاني، محمد خليل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1998م

17 - الأصفهاني، الراغب، (ت 502 هـ)، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، 1972م.

17- الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود، (ت 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج: 12، تحقيق: الأمد، محمد أحمد، السلامى، عمر عبد السلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1999م.

18- البدر، عبد الرازقبن عبد المحسن، (2005م)، **الجامع للبحوث والرسائل**، الطبعة الأولى، الرياض – السعودية، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع.

19- البهي، محمد، (1986م)، **القرآن والمجتمع**، الطبعة الثانية، مكتبة وهبه، القاهرة – مصر، مطابع المختار الاسلامي.

20- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (816)هـ، **التعريفات**، الطبعة الأولى، تحقيق: إبراهيم الابياري. دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1405هـ.

21- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (ت 816هـ)، **التعريفات**، ضبط: ابو العباس، محمد علي، مكتبة القرآن، القاهرة- مصر، 2003م.

22- الجندي، أنور، (1991م)، **معلمة الاسلام**، القاهرة - مصر، دار الصحوة للنشر والتوزيع.

23- الحزيمي، سعود بن عبد الله، (2005م)، **الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب**، القاهرة – مصر، دار الفجر للنشر والتوزيع .

24- الرازي، ابو عبد الله، محمد بن عمر بن حسين القرشي، (ت 606 هـ)، **التفسير الكبير**، الطبعة الأولى، ج: 6,7,8، تحقيق: محمد، عبد الرحمان، المطبعة البهية المصرية، مصر، 1925م.

25- الرازي، ابو عبد الله، محمد بن عمر بن حسين القرشي، (ت606هـ)، **التفسير الكبير**، ج:5، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2004م.

26- الرازي، محمد بن بكر بن عبد القادر، (ت 666 هـ)، **مختار الصحاح**، ج:1، دراسة وتقديم: البركاوي، عبد الفتاح، دار المنار، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، 1411هـ.

27- الزحيلي، محمد، (1997م)، **حقوق الإنسان في الإسلام، دراسة مقارنة مع الإعلان العالمي والإعلام الإسلامي لحقوق الإنسان**، الطبعة الثانية ، دار ابن كثير، دمشق، 1997م.

28- الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (538)هـ، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في جوه التأويل**، الطبعة الثالثة، ج:1، دار الريان للتراث، القاهرة- مصر، 1997م.

29- الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (538)هـ، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في جوه التأويل**، الطبعة الثانية، ج : 1،دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 2001م.

30- الزنيدي، عمر بن عبد الرحمن بن زيد، (1992م)، **مصادر المعرفة**، الطبعة الأولى، تقديم: الخطيب، عمر بن عبد الله بن عودة، الرياض- السعودية، مكتبة المؤيد.

31- السديس، عبد الرحمن، (ت 1426هـ)، **الشريعة الإسلامية وأثرها في تعزيز الأمن الفكري**، الطبعة الأولى، الرياض، ملتقى الأمن الفكري في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

32- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت 1415هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، الطبعة الأولى، الرياض – السعودية، دار بن الجوزي.

33- الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي خواطر**، (1911م)، مصر ،مجمع البحوث الاسلامية.

34- الشنقيطي، محمد الأمين محمد مختار الجنكي (1393)هـ، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، المؤسسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض- المملكة العربية السعودية 1983م.

35- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت 1250هـ)، **فتح القدير**،الطبعة الأولى، دار الخير، بيروت– لبنان، 1992م.

36- الصباغ، محمد بن لطفي، (1992م)، **الإنسان في القرآن**، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، المكتب الاسلامي.

37- الطائي، محمد باسل، (2010م)، **صيرورة الكون مدارج العلم ومعارج الايمان**، اربد- الأردن، عالم الكتب الحديثة.

38- الطبري، ابي جعفر بن محمد بن جرير،(ت 310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبعة الأولى، ج: 1، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، دار الاعلام، عمان- الأردن، 2002م.

39- العلواني، طه جابر، (2006م)، **الجمع بين قراءتين**، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية.

40- الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد (ت 515هـ)، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1986.

41- الغنوشي، راشد، (1993م)، **الحريات العامة في الدولة الاسلامية**، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية.

42- الفراهي، عبد الحميد،(ت 1349هـ)، **مفردات القرآن**،الطبعة الأولى، تحقيق: الاصلاحي، محمد أجمل أيوب، دار الغرب الاسلامي، 2002م.

43- الفراهيد ت (175)هـ، **كتاب العين**، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي- بيروت- 2001م.

44- القرطبي، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر (ت 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، الطبعة الأولى، ج:1، تحقيق :التركي، عبد الله بن عبد المحسن، عمان – الأردن، دار البشير.

45- القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا (ت 355هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون. اتحاد الكتاب العرب، 1423هـ.

46- القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا (ت355هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، الطبعة الأولى، اعتنى به: مرعب، محمد عوض، أصلان، فاطمة محمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 2001م.

47- القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة.

48- المدرسي، محمد تقي، **المجتمع الاسلامي، منطلقاته وأهدافة**، الطبعة الخامسة، مكتب العلامة المدرسي.

49- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، (1995م)، **ضوابط المعرفة وأصول الإستدلال والمناظرة**، الطبعة الرابعة، دمشق- سوريا، دار القلم .

50- النورسي، بديع الزمان، (2002م)، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**،الطبعة الثالثة، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، مصر، كليات رسائل النور.

51- الهاشمي، محمد علي، **المجتمع المسلم، كما بينه الاسلام في الكتاب والسنة**،الطبعة الأولى، دار البشائر الاسلامية.

52- الواحدي، ابي الحسن بن احمد (468)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، الطبعة الأولى، دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، 1995م

53- حمزة، حمزة، عمر يوسف، (2006م)، **أصول الأخلاق في القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، عمان-الأردن، دار الخليج للنشر والتوزيع.

54- خليل، عماد الدين، **مدخل إلى الحضارة الاسلامية**، بيروت – لبنان ،الدار العربية للعلوم المركز الثقافي العربي.

55- خليل، عماد الدين، الربيع، فايز، 2004م، **الوسيط في الحضارة الاسلامية**، الطبعة الأولى، عمان- الأردن، دار الحامد.

56- خليل، عماد الدين، (1991)، **حول تشكيل العقل المسلم**، الطبعة الرابعة، فيرجينا- الولايات المتحدة الامريكية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي.

57- شلتوت، محمود، (1983م)، **الاسلام عقيدة وشريعة**، الطبعة الثانية عشرة، دار الشرق

58- طنطاوي، محمد سيد، (1992م)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج:7، مراجعة: البدوي، عبد الرحمان، القاهرة- مصر، دار المعارف .

59- عاشور، السعيد، (1998م)، **الانسان في القرآن الكريم**، القاهرة – مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

60- عبد الباقي، محمد فؤاد، (1987م)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، بيروت- لبنان، دار الفكر.

61- عبد الباقي، محمد فؤاد، (1991م)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الحديث.

62- عبد الفتاح، خالد سليم، (2012م) ،**الحريات في الشريعة الاسلامية مقارنة بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان**، الطبعة الأولى، تقديم الشيخ عبد اللطيف دريان، منشورات الحلبي الحقوقية .

64- عكاشة، محمود، (2003م)، **الأمة الاسلامية رؤية جديدة معاصرة**، الطبعة الأولى، مصر، توزيع مكتبة النهضة المصرية .

65- عودة، عبد القادر، **الإسلام وأوضاعنا السياسية**.

66- فرحات، د. سميرة، (1991م)، **معجم الباقلاني**، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع .

67- قطب، محمد علي، (1976م)، **الإسلام وحقوق الإنسان، دراسة مقارنة**، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي .

68- قطب، سيد، (1980م)، **تفسير في ظلال القرآن**، الطبعة التاسعة، ج:1، دار الشروق.

69- قطب، محمد، (1993م)، **دراسات في النفس الإنسانية**، الطبعة العاشرة، دار الشرق.

70- محمد، صباح محمود، **(1994م)، الأمن الاسلامي دراسات في التحديات الجيوبوليتكية**، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

71- محجوب، وجيه، **أصول البحث العلمي ومناهجه**.

72- مسلم، مصطفى، ومجموعة من علماء التفسير، (2010م)، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، ج: 1، الشارقة- الامارات العربية المتحدة، جامعة الشارقة .

73- مكي، أحمد محمود طه، (2011م) ،**علم النفس الاسلامي**، القاهرة – مصر، الدار المصرية السعودية.

74- يالجن، مقداد محمد علي، (2004م)، **أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون**، الرياض- السعودية، دار عالم الكتب.

أبحاث ورسائل ماجستير:

75- الهديلي، ماجد بن أحمد بن علي، 1432- 1433هـ، **مفهوم الأمن الفكري**، رسالة ماجستير، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية .

76- الندوة العلمية، 1408هـ، **نحو استراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأمنية**، بحث علمي، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. الرياض، المملكة العربية السعودية .

78- ناصر، مجاهد محمود أحمد، 2003م، **منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة**، رسلة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين.

مواقع الكترونية:

79- موقع مركز النور المعرفي، **الأبعاد المعرفية لمفهوم الاستخلاف**، صبري محمد خليل، الناشر مركز التنوير المعرفي.

DIRECTING HUMAN THOUGHT IN THE HOLY QURAN

By

Hala Younis Yassin Khalil

Supervisor

Dr.Ahmad Esmaeel Nofal

ABSTRACT

Koran addressed in multiple verses the subject of various mental Altvkrwalamilit like to remember, and to consider, and insight, and mind, and AlTafaqah and others, in a way wave guidance disciplined, this study aimed to get to know the meaning of the guiding ideology and his peers and the fields through the Koran. President which was responded to by the study and the question is: What are the assets of the Holy Quran in guiding human thought? This study was to show the importance of the subject and Tgeleth sequentially and following the scientific method of subjective interpretation; where I came back to the Koran to him words I draw close to the meaning of thought, and put them in sub-headings, following the induction method and analysis. The study was divided after the statement of significance, to pave and two classes, beginner boots, which dealt with the definition of the guiding ideology and his peers, and discussed in the second chapter of assets adopted by the Koran in guiding human thought specific Bembages which, was gearing starting point for this directive was followed by a succession of rights in land, even save him from all the consequences of inertia and limitation is Ordvh and cognitive Banaklh, then Oattvh freedom of belief, and then the unification of the Creator Almighty. The second chapter was the talk centered on the direct effects of human thought in the Koran on the individual and society and the nation. To discern which of the importance of this directive and the great effects in the integrity of a person's life, and thus the evolution of society and the leadership of the nation.

The study concluded that a number of important findings was that the Koran first great care in directing human thought, has built this directive on a firm's assets, fixed, using inference and taller arguments, and evidence, required to achieve the ultimate goal for him to make Allah □-this Human successor in the land, the Almighty said: (I created the jinn and mankind except to worship) (Altharyat: 56).